

نِسَاءُ حَوْلِ الرَّسُولِ

الْفِدْوَةُ الْحَسَنَةُ وَالْأُسُوءَةُ الطَّيِّبَةُ
لنساء الأسرة المسلمة

محمد إبراهيم سليم



مكتبة

المرأة العربية فى ميزان النبوة !

« خَيْرُ نَسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ .. صَالِحُ نَسَاءِ قُرَيْشٍ
* أَحْسَاهُ عَلَى وَلَدٍ ..
* وَأَزْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ !! »

[حديث شريف]

[أخرجه البخارى فى صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حبان]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلقنا من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ،
وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء .

وصلاةً وسلاماً على من علمنا أن « النساء شقائق
الرجال »^(١)، وأن « الجنة تحت أقدام الأمهات »^(٢)، وأن « من
ابثلى من هذه البنات بشيء ، فأحسن إليهن كن له ستراً من
النار »^(٣).

وبعد

فلقد كرم الإسلام المرأة : وليدة وفتاة .. زوجة وأماً .. أختاً
وبنتاً .

ولقد نكر القرآن الكريم عدداً من النساء كان لهن دور بارز
فى تاريخ البشرية مثل : حواء ، وأم موسى ، وأخته ، وزوجة
فرعون ، وملكة سبأ ، ومريم ابنة عمران .

كما حفلت آيات القرآن بلجاجة عن أسئلة النساء ، أو حل
لمشاكلهن كما فى « سورة المائدة » .

وقد نزلت آيات من القرآن فى عدد من النساء : كما نزلت
آيات أخرى فى عدد من الرجال . يلى جانب إفراده سورتين للنساء
هما : سورة النساء ، وسورة الطلاق ، التى تسمى « سورة

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٢٥٦/٦) ، وأبو داود فى سننه (كتاب الطهارة باب الرجل
يجد شيئاً فى منامه حديث رقم ٢٣٦) .

(٢) أخرجه النسائى بلفظ « فالزمها فإن الجنة عند رجلها » [حسن الأسوة] .

(٣) أخرجه الشيخان والترمذى . [حسن الأسوة] .

سورة النساء الصغرى .

وقد تحدث القرآن عن المؤمنات اللاتي جنن رسول الله ﷺ مبايعات أو مهاجرات كما فى « سورة الممتحنة » .

ماذاك إلا لأن المرأة نصف الأمة بل هى بمنزلة القلب منها فإذا صلحت صلحت الأمة ، وإذا فسدت فسدت الأمة . وقد أدرك هذا أعداء الإسلام الذين يتريصون به وكشفت الأيام عن نواياهم .
تقول المبشرة : « أنا ميلجان » :

« ليس هناك طريق لهمد الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين فى مدارس التبشير الخاصة » !!

« .. إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى أنشئت خصيصاً لهذه الغاية . والتى تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربى الذى تختفى فيه كلمة : الحرام ، والحياء ، والفضيلة »^(١) .. ثم تقول : « ليس هناك طريق لهمد الإسلام أقصر مسافة .. من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة »^(٢) .

وإذا كنا بصدد إعادة صياغة العقل المسلم فإن المرأة المسلمة مدعوة فى هذا العصر إلى مشاركة الرجل بل إلى سبقه أيضاً فى العودة إلى الإسلام ، والتمسك به بقوة : عقيدة ، وعبادة ، وسلوكاً ؛ حتى يتسنى لنا - من جديد - إعادة بناء البيت الإسلامى على دعائم قوية ينشأ فى ظلها الأبطال ، والمجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله ، كما رأينا فى صدر الإسلام .

وإن خير ما يساعدنا على بلوغ الهدف : « القوة الحسنة والأسوة الطيبة » فلا صلاح لهذا المجتمع إلا بما صلح به أوله ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٩٠]

(١) ملحق مجلة الأزهر . جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ . د . عبد الودود شلى .

(٢) نفس المرجع .

فإلى الذين ينشدون مجتمعاً مثالياً ، مترابط الأواصر ، قائماً على الحب ، والتراحم ، والإيثار ، ورعاية الكرامة الشخصية لكل فرد مع الاستمساك بأهداب العفة ، والحياء ، والوقار .. إليهم أقدم هذه النماذج وتلك الأمثلة العليا للمرأة في صدر الإسلام ، وإن شئت فقل : لنساء كن حول الرسول ﷺ في كل معاركه فمازالت سيرة الصحابيات منارة لمن أودن الله ورسوله والدار الآخرة ، إنها نماذج عُلِّيا ، أحسن اختيارها وأعيد تنسيقها ، ورُكِّز على مواطن القدوة منها ﴿ فبهذا هم اقتده ﴾ . [الأنعام : ٩٠]

هذا .. وقد أحتت للمرأة المسلمة أن تعيش تسع نماذج للقدوة في مجالات متعددة ، وفي شتى الميادين .. في السلم والحرب .. في البعد والقرب .. وتحت كل « نموذج » من هذه النماذج ستة أمثلة تبرز جوانب القدوة في المرأة المسلمة في عصرها الأول .. مؤيدة للدعوة .. وحاملة للراية ، ومدافعة عن الحق ، وواقفة كالطود من حول الرسول ﷺ تؤيده ، وتناصره ، تبايعه ، وتتابع خطاه ، وتنود عنه وتهاجر في سبيل الله .

إن المرأة المسلمة اليوم تقع تحت ضغوط تكاد تبعتها عن منابع الإسلام الأولى ، وتحول بينها وبين تفهم رسالته .

ألا ما أشد حاجتها إلى وعى جديد بدينها ، وتعرّف على قيمه ومبادئه التي انتصر بها وساد العالم !

لقد قرر الإسلام للمرأة حقوقاً لم تكن تعرفها من قبل .. فرد لها حقها المسلوب في الحياة ، وجعل لها حقاً مشروعاً في الميراث .

وحقق لها الاستقلال الاقتصادي فيما تملك .

وجعل للزواج أحكاماً .

ووضع للطلاق وتعدد الزوجات شروطاً وقيوداً . وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات ما تستقيم به الحياة الزوجية ،

وتقوى به الروابط والعلاقات الأسرية .
وأعطى الإسلام المرأة الحق فى طلب العلم ، وجعله فريضة
على كل مسلم ومسلمة .
وجعلها شريكة للرجل فى ميدان القتال ، وأوجب عليها
الخروج للدفاع عن الوطن بغير إذن من زوجها إذا هجم العدو
واعتمد على حرمة البلاد .
واحترم الإسلام رأى المرأة ، واستمع إليه ، وقرره مبدأ يسير
عليه التشريع العام .
ولما كانت المرأة قد حصلت على كثير من الحقوق ، فقد حملها
الإسلام من المسؤوليات ما يتناسب مع ما حصلت عليه من حقوق .
فجعلها مسئولة عن نفسها ..
وعن عبادتها ..

وعن أسرتها .. فهى فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن
رعيته . ومن هنا راحت تشارك فى صنع الحياة ، وتؤدى رسالتها
على الوجه الأكمل ، كما نرى فى هذه النماذج التى وقع الاختيار
عليها من كتب المغازى والسير لتمثل شتى جوانب القوة .
إنهم اليوم يشوهون صورة المرأة المسلمة ليطعنوا الإسلام من
خلالها ، وما أكثر أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر ، وكَمْ
أرجو أن يقود هذا الكتاب خطانا على طريق الإيمان ، وأن يبدد
الضباب الكثيف الذى حال دون الرؤية السليمة ، وأن يضع الأقدام
على درب الإيمان ، فمن سار على الدرب وصل . إن أريد إلا
الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى : ١٨ من ذى الحجة ١٤١٠ هـ
١٠ من يوليو ١٩٩٠ م

نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة

- ١ - أخناه على ولد : [ست نماذج]
- ٢ - أرعاه على زوج : [ست نماذج]
- ٣ - بنات مثاليات : [ست نماذج]
- ٤ - أخوات مسلمات : [ست نماذج]
- ٥ - مبايعات صادقات : [ست نماذج]
- ٦ - مهاجرات مضحيات : [ست نماذج]
- ٧ - مجاهدات فدائيات : [ست نماذج]
- ٨ - مداويات آسيات : [ست نماذج]
- ٩ - راويات للحديث عالِمات : [ست نماذج]

$$٩ \times ٦ = ٥٤ \text{ نموذجاً}$$

أولاً

المرأة المسلمة أمًا وحاضنة ومُرضِعًا

- أم هانيء .
- لبابة بنت الحارث الهلالية
- أروى بنت عبد المطلب
- أم أيمن بركة بنت محسن
- حليلة السعدية
- الشيماء بنت الحارث السعدية

أحناء على ولد

❖ أمومة مثالية

تتجلى أمومة المرأة المسلمة فى أنبل الصور ، وشتى المواقف .
إنها فيض غامر من الأمومة تسبغها على الجميع ..
فإذا هى الحُبُّ كله ، والعطف كله ..
وإذا هى حنان وإيثار ..
وإذا هى بذل وتضحية ..
وإذا هى صبر وفداء ..
وكما تتجلى أمومتها فى السلم ، تتجلى فى ميدان الحرب والقتال فإذا
هى « أم المجاهدين » .
وإذا هى ترعاهم وتسهر عليهم كما تسهر على بنيتها ، وتعبر إحداهن
عن الأمومة بقولها فى الحديث الذى رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
وأخرجه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد :
« يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثدى له سقاء ،
وحجرى له حواء ... » .
هذه هى الأمومة الحققة وإليك نماذج للأمهات الفضليات .. والحاضنات
الشفقيات .. والمرضعات الحانيات .



1 - أم هانئ

فاختة بنت أوى طالب بن عبد المطلب إن سألت عنها فهى ابنة عم رسول الله ﷺ أمها : فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى إحدى ذوات الرأى والأدب الجَمَّ من قرىش !

خطبها رسول الله ﷺ فى الجاهلية وكان أبوها قد وعد بها « هُبيرة بن أوى وهب » فظفر بها .

وفى مستهل الإسلام أسلمت « أم هانىء » ولم يُسلم زوجها ، ففرق بينهما بحكم الإسلام ! وراحت تقوم على رعاىة أبنائها الأربعة الصغار !

وخطبها رسول الله ﷺ ثانية فقالت : يا رسول الله ، لَأُتِ أَحَبُّ إِلَى من سمعى ومن بصرى وحقَّ الزوج عظيم ؛ فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى ! وإن أقبلت على ولدى أن أضيع حقَّ زوجى ! فقال رسول الله ﷺ : « إن خيرَ نساءِ ركنِ الإبل نساءُ قرىش : أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بَعْل فى ذات يده »^(١).

وكان لأم هانىء شخصيتها القوية ، فلقد كانت المرأة العربية فى عهد الإسلام - كما كانت فى الجاهلية - تُجبر الخائف وتؤمّن المروّع ؛ فقد أجارت أم هانىء بنت أوى طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل ، وها هى ذى تحدثنا عن ذلك .

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية نقلا عن المروى . وعلق عليه بقوله : ووحد الضمير وأمثاله ذهابا إلى المعنى تقديره : أحنى من وجد ، أو خلق ، أو من هناك ومثله قوله : أحسن الناس وجها ، وأحسنه خلقا وهو كثير فى العربية ، ومن أفصح الكلام .

قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلى رجلان من أحمائي من بنى مخزوم ، فدخل عليّ « عليّ بن أبي طالب » أخي ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي . ثم جئت رسول الله ﷺ فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ! ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ؛ فقال : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ، وأمنا من أمنت ؛ فلا يقتلنهما »^(١) .

وقد روى أصحاب الصحاح الستة جميعاً عن « أم هانئ » وعاشت حتى جاوزت عهد أخيها عليّ رضي الله عنه .

أرأيت أيتها المسلمة كيف رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأعلى منزلتها ، وحررها من القيود والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية ، وقرر لها حقوقاً لم تكن تعرفها من قبل .

ومما يدل على منزلة المرأة في الإسلام وإكرامها والمحافظة على شعورها أن الرسول ﷺ حافظ على عهدها ، ووفى بما وعدت به بهذا القول الحكيم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » .

عود على بدء !! :

وهل هناك ما هو أدل على احترام رأي المرأة من حديث أم هانئ بنت أبي طالب ، وقد خطبها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، لآنت أحب إلى من سمعى ومن بصرى ، وإنى امرأة مؤتمّة ، وبنتى صيغار ، وحق الزوج عظيم . فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى ، وإن أقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجى !

فقال رسول الله ﷺ : « إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل فى ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت الإبل ما فضلت عليها أحداً »^(٢) .

تلك امرأة أبدت صفحة العُذر عن بلوغ أقدس منزلة تبلغها المرأة

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٢٠ والبخارى ج ٨ ص ٣٧ .

(٢) كتاب الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٣٢ ، والإصابة ج ٨ ص ٢٨٧ .

المسلمة ، وهى منزلة أمومة المؤمنين ، فأكبر الرسول ﷺ رأياً إكباراً ، فقلد قريشاً بأسرها تلك الشهادة العالية الكريمة !

وهل هناك أحنى على ولد من تلك التى ضحت بأن تكون أمّاً للمؤمنين من أجل رعاية أولادها ؟!

إننى أهدي قصتها إلى كل أم تضحي من أجل أولادها !



٢- لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم عبد الله بن عباس

تشير كتب التراجم إلى أن هناك «لبابتين» كلتيهما تحمل هذا الاسم كاملاً .

ومن عجب أنهما أختان : كُبرى .. وصُغرى .

أما الكبرى : فقد قدمت لنا « عبد الله بن عباس » حَبر الأمة .

وأما الصغرى : فهي أم خالد بن الوليد سيف الله المسلول . وتلقب العصماء ، وفي إسلامها وصحبها نظر كما قال أبو عمر في الاستيعاب ، وأقره ابن كثير .

إن لبابة الكبرى مشهورة بكنيتها ، ومعروفة باسمها ، فهي « أم الفضل » زوج العباس بن عبد المطلب والدته أولاده : الفضل وعبد الله وغيرهما .

من فواضل نساء عصرها . قديمة الإسلام ، فكان ابنها عبد الله يقول : « كنت وأُمى من المستضعفين من النساء والولدان »^(١) .

[أخرجه البخارى]

أسلمت بمكة بعد خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - وكان لها منزلة بين نساء المسلمين .

وكان يقال لوالدة « أم الفضل » : أكرم الناس أصهارا : ميمونة زوج النبي ﷺ . والعباس تزوج أختها شقيقتها لبابة ، وحمة تزوج أختها سلمى ، وجعفر بن أبي طالب تزوج شقيقتها أسماء ، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ، ثم تزوجها بعده علي .

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ [النساء : ٧٥] . أى من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار .

قال أبو عمر في الاستيعاب : كانت من المنجيات^(١)، وكان النبي ﷺ يزورها . وكانت أم الفضل من عليّة القوم .

وفي الصحيح « أن الناس شكُّوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة ، فأرسلت إليه « أم الفضل » بقدرح لبن فشرب وهو بالموقف ، فعرفوا أنه لم يكن صائماً » .

روت عن النبي ﷺ ثلاثين حديثاً .

أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة أحاديث :

أحدها متفق عليه . والثاني للبخاري . والثالث لمسلم .

وروى عنها ابنها عبد الله بن عباس .

ومما يذكر أنها كانت تأمل في بدء حياتها أن يصبح ابنها شيئاً مذكوراً ، فقد كانت تُرقصه وهي تقول :

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهدراً وغير فهدر

وقد ساد الجميع بعلمه ، فقد أصبح خير الأمة وعالمها .

أرأيت كيف كانت حانية على ولدها !؟

لقد توفيت قبل زوجها العباس بن عبد المطلب في خلافة عثمان بن عفان .



(١) فهي أم أولاد العباس الستة النجباء .

٣ - أدرك بنت عبد المطلب

عمة رسول الله ﷺ أخت صفية

أسلمت أروى بنت عبد المطلب بمكة .. وهاجرت إلى المدينة .
وكانت قبل إسلامها تعضد النبي ﷺ ؛ فذكروا أن ابنها « كليب بن
عمير » أسلم في دار « الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي » . ثم خرج فدخل على
أمه أروى بنت عبد المطلب فقال : « تَبِعْتُ محمداً وأسلمت لله ! »
فقال له أمه : إنَّ أحقَّ من وازرت وعضدت ابن خالك ! والله لو كنا
نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ودافعنا عنه .
فقال كليب : فما يمنعك يا أمي من أن تُسلمي وتُتبعيه فقد أسلم أخوك
حمزة ؟

فقلت : أنظر ما يصنع أخواني ، ثم أكون إحداهن .
فقال كليب : فإني أسألك بالله إلا أتيتيه فسلمت عليه ، وصدقتيه ،
وشهدت أن : « لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .
ثم كانت تعضد النبي ﷺ بلسانها وتُحضُّ ابنها على نُصرتِه والقيام بأمره .
وعرض أبو جهل وعدة من كفار مكة للنبي ﷺ فأذوه ، فعمد « كليب
ابن عمير » إلى أبي جهل فضربه ضربة شجّه فأخذه وأوثقوه ، فقام دونه
أبو لهب حتى خلاه !

فقبل لأروى : ألا تَرَيْنِ ابنك « كليباً » قد صير نفسه غرضاً دون محمد ؟

(١) ذكرها أبو جعفر في الصحابة . وأما ابن إسحاق ومن وافقه فقد قالوا : لم يسلم من عمت
النبي ﷺ غير صفية .

وقال غير هؤلاء : أسلم من عمت النبي صفية وأروى وهو الصواب .

وترجم لها الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء .

فقالت : خير أيامه يوم يدفع عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله .
فقالوا : ولقد بُعِثَ محمداً ؟ فقالت : نعم ..

فخرج بعضهم إلى أبي هب فأخبره ، فأقبل حتى دخل عليها فقال :
عجبا لك ولا تباعك محمداً وتركك دين عبد المطلب ! فقالت : قد كان
ذلك ، فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه ، فإن يظهر أمره ، فأنت بالخيار :
أن تدخل معه أو تكون على دينك ، فإن يُصِيب كنت قد أعذرت في ابن
أخيك .

فقال أبو هب : ولنا طاقة بالعرب قاطبة .. جاء بدين محدث . ثم
انصرف !

وقالت أروى :

إن كليبا نصر ابن خاله وأساه في ذى ذمة وماله
أرأيت كيف وقفت دون رأى ابنها تشجعه وتؤازره ؟!

وقد رثت أروى أباه عبد المطلب فقالت :

بكت عيني وحق لها البكاء على سمح سجيته الحياء

وقالت ترى رسول الله ﷺ :

ألا يارسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برأ ولم تك جافياً

وتوفيت نحو سنة ١٥ هـ .



٤ - أم أيمن

حاضنة رسول الله ﷺ

قد يجد اليتيم في غير أمه من تعوضه بخانها ورعايتها عن حنان أمه كما فعلت « أم أيمن » وإليك قصتها من البداية إلى النهاية ..

لقد كان أهل مكة يعيشون أفراح النصر على أصحاب الفيل .. بينما كانت « آمنة بنت وهب » تؤثر العزلة ، وترغب في الخلوة إلى نفسها ..

كانت تريد أن تسعد بهذا الجنين الذي تُحسُّه في أحشائها ، ولكنها لا تلبث أن تذكر زوجها ، وأنه قد حرم السعادة بهذه النعمة .

لكن النور الذي رآته ملاً جوانحها بالإشراق والصفاء والسعادة ، وأنساها ما ألم بها !

وعطف الله على هذا اليتيم قلوباً ملئت حباً وفاضت حناناً ورحمة .

إن هذه الأمة الحبشية وقد ورثها اليتيم عن أبيه الفقيد لا تكاد ترى هذا الوليد حتى يُلقى الله حبه في قلبها ، وحتى يعطفها الله عليه ، وحتى يجعله لها قرة عين .. فراح تحضن الطفل وتحنو عليه ، وتؤثره بمزيد من المحبة والبر ، ومن المودة والعطف ومن الجنان والرفق بكل هذه الكنوز التي تحتويها قلوب الأمهات حتى تفقد مرضعته مع المراضع إلى مكة فتنتزعها منها ومن أمه انتزاعاً ، وترحل به إلى البادية .

وتصير على ذاك الرحيل وهذا الفراق .. وهي الصابرة المحتملة .

ثم يعود الصبي الناشئ من البادية إلى مكة إلى أمه وإلى حاضنته لينعم بعطفهما عليه ، ورعايتهما له .

وترحل أم الطفل به إلى يثرب لتزيّره أخواله من بنى النجار ، فترحل

الحاضنة معها ، وينعم الطفل بحنان هذين القليين الكريمين .
حتى إذا قضى الطفل وأمه وطراً من زيارة الأرض الموعودة ، عاد بين
أمّيه الكريمتين إلى موطنه بمكة .. ولكن ما يكاد الطفل-ييعد عن يثرب حتى
تلم العلة بأمه كما ألت بأبيه قبل أن يصل إلى الدنيا ، ولا يكاد الطفل ينتهي
إلى « الأيواء » حتى ينزع الموت منه أمه ، كما نزع منه أباه ..
وأصبح الطفل كما أراد الله له يتيماً قد فقد الأم والأب .. وعندئذ خلص
لحاضنته من دون الناس ، وتعود به إلى جده ، وأعمامه وحيداً فريداً يرعاه
قلبا الكريم .

من ذلك الوقت أصبحت للطفل أما ، رعتة صبيّاً وشأباً حتى إذا بلغ
سن الرجال واتخذ له أسرة ، نظر إليها فأعتقها ، ورد لها حقها الكامل في
الحياة الكريمة .

هنالك اتخذت لها زوجاً من أهل يثرب كان مقيماً بمكة فعاشت معه ماشاء
الله أن تعيش ، ورحلت معه إلى يثرب حتى إذا مات عادت إلى ابنها الأول ،
ومعها ابنها الثاني « أيمن بن عبيد » فعاشت في كنف هذا اليتيم ، وعاش معها
ابنها سعيدين ناعمين .

ويُتم الله نعمته على هذا اليتيم فلا يشغله شيء عن أمه هذه ويعبر ﷺ
عن مشاعره تجاهها فيقول كلمة ملؤها البر والحنان والوفاء : « إنها بقية أهل
يئى ! »^(١)

وإنه ﷺ ليحرص على أن تحيا وتنعم بالحياة فيقول لأصحابه : « من
سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن »^(٢). هنالك أسرع
مولاه زيد فاتخذها له زوجاً .

وتهاجر من مكة إلى المدينة لتلحق بأحب الناس إليها لا يؤنسها في الطريق
إلا إيمانها .. وتبلغ المدينة فيلقاها ابنها حفياً بها عطوفاً عليها ، وتقضى معه أيامها
في المدينة لا تكاد تفارقه .. نراها يوم « أحد » تشهد الحرب مع المسلمين ..

(١) عن الواقدي . كما في الإصابة .

(٢) سير أعلام النبلاء (ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦١) .

تطوف بالماء .. تسقى الجرحى ومن مَسَّهم الجهد .
وتشهد خير مع ابنها تواسى المسلمين وتمنحهم من عطفها ورعايتها
ورحمتها ..

ويقبل عليها النبي ﷺ في السلم يمازحها ولكنه لم يكن يقول إلا حقا ..
وعندما تصعد نفسه الكريمة إلى بارئها تبكى على الوحي الذى سينقطع بموته .
وتعيش لتشهد موت عمر ، فتقول قولتها : « الآن وهى الإسلام !! » .
وفى مستهل خلافة عثمان تلقى ربه راضية مرضية .

وبعد .. فهذه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته تلك التى ورثها
من أبيه^(١) ، فأعتقها ﷺ عندما تزوج خديجة بنت خويلد .

وتزوجها عبيد بن زيد فولدت له « أيمن » . صحب النبي ﷺ وقتل يوم
حنين . وكان زيد بن حارثة مولى خديجة بنت خويلد فوهبته لرسول الله ﷺ
فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة بن زيد . لقد هاجرت
المهجرتين ، وروت عن النبي ﷺ خمسة أحاديث^(٢) .



(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص ١٢ ، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤ صحيح مسلم ٩٦/٢ .

(٢) يمكن الرجوع إلى ترجمة حياتها بطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى . صحيح البخارى . الإصابة لابن حجر .

٥ - حليلة السعدية

مرضعة سيد البشر

كل الذين يستعيدون أحداث السيرة النبوية يذكرون « حليلة السعدية » !! فلقد كانت على جانب عظيم من حسن الطبع وجمال الخلق ، ورقة القلب ..

ولأمرٍ ما اختارها الله لتكون مرضعة لسيد البشر ! لم تجد « حليلة » وقد جاءت مع نساء بنى سعد غير يتيم عبد المطلب لترضعه !

إنها من بنى أسد بن بكر هوازن وتنتهى لقيس عيلان ، ولو لم تكن ذات شرف وخلق قويم وقلب رقيق لم يرضع عبد المطلب حفيديه : محمداً وأبا سفيان منها . بقى عندها أربع سنوات ربه على الأخلاق العربية .. على المروءة والشهامة والصدق والأمانة ، ثم ردتّه إلى أهله وعمره خمس سنوات وشهر واحد ! بعد أن غمرتها بركات هذا اليتيم !!

وقد أحب النبي ﷺ مرضعته حباً كثيراً حتى أنه لما أخبرته بعد فتح مكة إحدى نساء بنى سعد بوفاتها ذرفت عيناه عليها !

ثم قالت له الناعية : أخواك وأختاك محتاجون ! فأرسل إليهم ما يحتاجون إليه !

فقالت له الناعية : نعم - والله - المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرء كنت كبيراً عظيم البركة !

لاشك أن الرسول ﷺ عادت به الذكريات إلى أيامه الأولى فتذكر طفولته ، وحنّو مرضعته عليه ، وألفته مع إخوته وأخواته .

لقد كانت حليلة السعدية من حوله في طفولته ولاشك أنها تركت في

نفسه أثرا عميقاً ، وحين ورد ذكرها على قلبه الحساس ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم الدموع عليها .

فإلى كل من ترعى يتيماً بلمسة حانية ، أو كلمة للنفس شافية ، أو بسملة للروح مداوية ، أهدى قصة حليلة السعدية وما كافأها الله به من رزق وخير وأجر عظيم !

وإلى كل الأبناء من الرضاعة نقدم الحديث الذى أخرجه أبو داود وأبو يعلى وغيرهما ، من طريق عمارة بن ثوبان عن أبى الطفيل - أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بالجرعانة يقسم لحما ، فأقبلت امرأة بدوية ، فلما دنت من النبى صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : هذه أمه التى أرضعته^(١) .



(١) الإصابة ج ٧ ص ٥٨٥ .

الشيما بنت الحارث السعدية

من منا لا يذكر « الشيما السعدية » حاضنة رسولنا ﷺ حين يسمع ذلك الاسم الجميل : « حليلة السعدية » !!؟

إن محمداً ﷺ كان وحيد أبويه ، فليس له أخ أو أخت من النسب . لكنه كان له إخوة من الرضاع .. فمن هم ياترى ؟ ذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير وغيره عنه أن إخوة النبي ﷺ من الرضاعة : عبد الله ، وأنيسة ، وحذيفة بنو الحارث ، وحذافة هي : الشيما غلب عليها ذلك .

قال : وذكروا أن الشيما كانت تحضن الرسول ﷺ مع أمها ، ومن أجل هذا نرى الكثيرين يسمون بناتهم « الشيما » تكريماً للدور الذي قامت به من رعاية النبي ﷺ في طفولته .

لقد كانت ترقص النبي ﷺ وهو صغير قائلة :
يسارب أبق لنا محمداً حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيّداً مُسوّداً واكبت أعاديهِ معاً والحُسداً
وأعطه عزّاً يدوم أبداً

قال : فكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول : ما أحسن ما أجاب الله دعاءها !!

ويقول ابن سعد : كانت الشيما تحضن النبي ﷺ وتورّكه^(٢) ؟

(١) الإصابة . كما ذكر محمد بن المثل الأزدي في كتاب الترقيص .

(٢) تورّكه : تجلسه على وركها .

وقال أبو عمر : أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن ، فأخذوها
فيما أخذوا من السبي ؛ فقالت لهم : أنا أخت صاحبكم ، فلما قدموا بها
قالت : يا محمد ، أنا أختك ، وعرفته بعلامة عرفها ، فرحب بها ، وبسط
رداءه ، فأجلسها عليه ، ودمعت عيناه ، فقال لها : إن أحببت أن ترجعي إلى
قومك أوصلتك . وإن أحببت فأقيمى مكرمة محبة ، فقالت : بل أرجع ،
فأسلمت ، وأعطاه رسول الله ﷺ نَعْمًا وشاء ، وثلاثة أعبد وجارية .

إن كل الذين قاموا بدور في حياة رسولنا ﷺ سواء في صغره ، أم بعد
رسالته ، وأيدوه وساندوه ، ووقفوا إلى جانبه ، وكانوا حوله لهم منا - نحن
المسلمين - كل التقدير على ما قاموا به ، وما أسدوه .

بقيت لمسة الوفاء التي تجلت في إكرام الرسول ﷺ لها عندما عرفها !
ألا ليتنا نذكر الفضل لأهل الفضل ، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل
إلا ذوو الفضل !!

كم منا يذكر مرضعته ؟!

وكم منا يذكر حاضنته ؟!

ألم يجعل الرسول الجنة تحت أقدام الأمهات ؟!



— ثانياً —

المرأة المسلمة زوجة

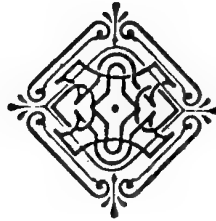
- خديجة أم المؤمنين .
- سودة بنت زمعة
- زينب بنت محمد ﷺ
- رقية بنت محمد ﷺ
- أم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل .
- خولة بنت مالك بن ثعلبة

أرعاه على زوج في ذات يده

❖ خير ما يكنز الرجل

يقول الرسول ﷺ لعمر : « ألا أخبرك بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته .. وإن أمرها أطاعته .. وإن غاب عنها حفظته .. »
[أخرجه أبو داود]

وما تزال صورة الزوجة المسلمة راسخة في وجداننا وضميرنا .. تلك الصورة المثالية لسلوك المرأة العربية التي تتجلى رعايتها للأسرة في تحمل المسؤولية فهي في بيت زوجها زاعية ومسئولة عن رعيته .. إن علاقتها بزوجها قوامها الحب المتبادل ، والعطف والحنان ، والإيثار ، والبذل ، والتضحية ، والفداء !
ويكفى في الإقرار بفضلها أن أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره قلب امرأة فاضلة نبيلة .. هي خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ وليس بعد ذلك من تشريف للمرأة في الإسلام ورفع لقدرها ، فتعال نتابع مسيرتها في الوقوف إلى جانب الدعوة الوليدة .



١ - خديجة بنت خويلد

لئن لقي النبي ﷺ من رجال قريش ما لقي من صَدِّ وإيذاء فقد وقفت إلى جانبه امرأتان .. وقفنا من وراء الدعوة الإسلامية تؤيدانها وتسهران على خدمة رائدها ﷺ : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت أسد واستحققت « خديجة » بهذا أن تكون خير نساء العالمين .

وكيف لا تكون كذلك وهي أم المؤمنين ، خير الزوجات والأسوة الحسنة للمقتدين .

حيأت للنبي ﷺ بيتًا هانئا قبل بعثته .. وأعانتة على التأمل في غار حراء .. وكانت أول من آمن به عندما دعا إلى ربه .. وكانت خير من واساه بالنفس والمال والأهل .. سيرتها عطرة .. وحياتها بالبر عامرة ، ونفسها بالخير زاخرة .

يقول رسولنا ﷺ : « آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني وكذَّبني الناس وواستني بما لها إذ حرمني الناس »^(١) .

فما بالنا نبحث عن القدوة هنا وهناك وأمامنا « خير نساء العالمين » خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين الزوجة الوفية المطيعة التي أحسنت عشرة زوجها ، وأعانتة على خلوته قبل البعثة وثبتته وصدقته ، وسبقت الناس إلى الإيمان برسالة وواسته وواست المسلمين بنفسها ومالها وآلها فجزاها الله عن دينه ونبيه خير الجزاء ، ولقَّاهم نُصْرَةً ونعيمًا في « قصرها » الذي بشرها به النبي في حياتها !

(١) الاستيعاب لابن عبد البر .

عندما أتى جبريلُ النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ، هذه خديجة^(١) قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٢) » .

أليس هذا القصر خيرا من قصور الدنيا يا من غرتكم الدنيا ؟ ! أليست هذه البشرية خيرا من الدنيا وما فيها ؟ !

إن السيدة خديجة - رضى الله عنها - كانت أول من انضم إلى الركب المؤمن ، وأول من آمن بالله في الأرض بعد النبي ﷺ .

وحملت اللواء مع الرسول ﷺ من اللحظة الأولى ، تجاهد وتكابد ، تفقد ثروتها وتعادى قومها ، وتقف من وراء زوجها ونبيها حتى الرمح الأخير . وحق لها أن تكون مثلهن الأعلى .

وكيف لا وقد كانت للنبي ﷺ منذ أول ساعات النبوة أول مؤيد ! لقد نزل عليه الروح الأمين أول ما نزل في غار في الجبل فأقرأه ماشاء الله أن يقرئه من آي الكتاب الكريم ، ثم أخذ يترأى له في طريقه بين السماء والأرض ، فلا يلتفت يمنة ولا يسرة حتى يراه ، فيقف لا يتقدم ولا يتأخر . كل ذلك ورسول الله ﷺ بين شعاب الجبل ، وفي وحشة الطريق ، فلا أنيس ولا سمر ولا معين ولا نصير !

لم يزل النبي ﷺ في موقفه هذا حتى انصرف الملك عنه ، فانصرف هو إلى خديجة فزعاً مرعوباً بما سمع ورأى ، فلما بصرت به قالت : أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ، ثم رجعوا إلي ، فحدثها رسول الله ﷺ حديثه . فقالت : أبشر يا بن عمّ واثبت فوالذي نفسي بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ! لم ير منها إلا تثبيتاً لقلبه ، وترويحاً لنفسه ، وتأبيداً لأمره . لم ير منها شيئا يحزنه ، من ردّ عليه ، أو

(١) روى الحديث البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ .

ويقول الإمام الذهبي : متفق على صحته .

(٢) قصب : أنابيب من جوهر . صخب : ضجيج . نصب : تعب .

تكذيب له ، أو سخرية به ، أو نفور منه ... بل إنها فرّجت صدره ، وأذهبت حزنه ، وأثلجت قلبه ، وهونت الأمر عليه ، وهكذا تكون الزوجة المثالية ! تلك هي خديجة التي بعث الله إليها نبيّه ، فنزل بها جبريل على رسول الله ﷺ فقال له : « أقرئ خديجة السلام من ربها » ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خديجة ، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك »^(١) ، فقالت : لله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام . وإنها لمنزلة ما ظفر بها أحد من السابقين الأولين والخلفاء الراشدين ، وذلك لأن موقفها في اللحظة الأولى أعظم وأجل من جميع مواقف التأيد للدعوة فيما بعد ! إن خديجة - رضى الله عنها - كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله ﷺ .

بقيت معه ربع قرن تحسن إليه ساعة قلقه ، وتوازره في أحواله ، وتعينه على إبلاغ رسالته ، وتشاركه في مغارم الجهاد المر ، وتواسيه بنفسها ومالها .

يقول رسول الله ﷺ : « آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدّقتني حين كذبنى الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمنى الناس ، ورزقني الله ولدها ، وحرّم ولد غيرها »^(٢) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب »^(٣) .

(١) قال ابن عبد البر : روى من وجوه : أن النبي ﷺ قال : « يا خديجة ، جبريل يُقرئك السلام » وفي بعضها : يا محمد ، اقرأ على خديجة من ربها السلام .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٩٨/٦ .

(٣) صحيح البخارى . باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ٥٣٩/١ .

٢- سودة بنت زمعة

أم المؤمنين

هي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة ، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة^(١).

كان الصحابة رضي الله عنهم يرقبون وحدة النبي ﷺ بعد خديجة ويودون لو يتزوج لعل في الزواج ما يؤنس وحدته ! لكن من يفاتحه ؟
وتتقدم « خولة بنت حكيم » لتقوم بالمهمة ، فتفتح الرسول ﷺ وتعرض عليه « عائشة بنت الصديق » لكنها ماتزال صغيرة .. فلتتم خطبتها ثم يكون الانتظار حتى تنضج .

لكن من يرعى شئون النبي ﷺ ، ومن يخدم بناته ومن يملأ عليه البيت ؟
إن « عائشة » لن يتم الزواج بها ، تلك التي تتولى شئون النبي ﷺ من بني عدى بن النجار .

وأذن لها الرسول ﷺ في جاءت بيت زمعة ، فدخلت -
ماذا أدخل الله عليك من فسألت سودة وهي لا -
وماذا يا خولة ؟

قالت :

أرسلني رسول الله ﷺ

الإمام الذهبي . سير أ

قالت في صوت مرتجف :
- وددت ! ادخلي على أوى فاذكري له ذلك^(١). وكانت الموافقة .. وتم
الزواج .

لقد كان لسودة ظروفها التي جعلت الرسول ﷺ يمد يده الرحيمة إليها
يسند شيخوختها ، ويهون عليها الذى ذاقت من قسوة الحياة !!
فقد هاجرت إلى الحبشة فرارا بدينها مع زوجها ابن عمها ، ثم مات عنها
مهاجراً في الغربة . وترك أرملته من بعده قد أسلمتها محنة الاغتراب إلى محنة
الترمل قبل أن تهبط « أم القرى » .
لقد تأثر الرسول ﷺ للمهاجرة المؤمنة المترملة ، فكانت موافقته على
الزواج منها .

وتظل سودة راعية في بيت زوجها رسول الله ﷺ حتى تفد عائشة
رضى الله عنها على البيت النبوى ، وتعلم مكانة عائشة من قلب النبى فتجعل
يومها لعائشة وتفسح لها المكان الأول في البيت .

وتحرص جهداً على أن تتحرى مرضاة العروس الشابة وأن تسهر على
راحتها وكل أملها بعد أن أحست برودة الشيخوخة أن تبقى زوجة لرسول
الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، وألا تحرم من هذا الشرف العظيم .. حتى ولو
وهبت يومها لعائشة بعد أن أحست أنها لا تريد ما يريد النساء !

وعاشت « سودة » ساهرة على رعاية البيت النبوى وقلبا عامر بالرضا
والإيمان ! حتى لحق ﷺ بربه ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضى
الله عنه .

وقد ظنت عائشة - رضى الله عنها - تذكر لها صنيعها ، وتؤثرها بمجمل
الوفاء فتقول : « ما من أناس أحد أحب إلي من أن أكون في مسلاخه من
بنت زمعة إلا أن بها »^(٢).

فبت سجد ابن عباس فقيل له في ذلك : فقال : قال رسول الله

من تاريخ الطبرى : ١٧٦/٣ وقصة زواجها في السنة الثمين ١٠٢

مسلاخه : ثوبه وجلده .

ﷺ : « إذا رأيتم آية فاسجدوا » . وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ (١)

روت سودة عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث . أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد (٢) . وفي رواية أن البخاري روى لها حديثين (٣) .
يرحمها الله كانت تحب الصدقة ، وعلى جانب كبير من الخلق الرفيع .
عن عائشة - رضى الله عنها - : « أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن : يا رسول الله ، أينما أسرع لحوقا بك ؟ قال : أطولكن يداً ، فأخذن قصبة يذرعهما » فكانت سودة أطولهن يداً ، فعلمنا بعد : أنما كان طول يدها : الصدقة ، وكانت تحب الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقا به » (أخرجه الشيخان والنسائي) .

ولمسلم في أخرى : « أسرعكن لحوقا بي أطولكن يداً ، قالت : فكن يتناولن أيتهن أطول يداً ، فكانت أطولنا : زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق » .



(١) طبقات ابن سعد . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير .

(٢) المجتبى : لابن الجوزي .

(٣) الكمال في معرفة الرجال للمقدسي .

زينب بنت محمد بن عبد الله ﷺ

ماتت زينب ، ومضى على موتها خمسة عشر قرناً ، ولكنها خلفت أطيّب الذكرى ، وضربت أبلف المثل فى وفاء الزوجة ، وإخلاص المحبة ، وصدق الإيمان !

لقد ولدت « زينب » سنة ثلاثين من مولد النبى ﷺ .. وعندما بلغت سن الزواج طلبتها خالتها « هالة بنت خويلد » أخت أم المؤمنين خديجة - لابنها « أبى العاص بن الربيع » . وكانت الموافقة .. وكان الرضا من الجميع ! وزُفّت زينب بنت محمد ﷺ إلى « أبى العاص بن الربيع »^(١) ، ومضت « خديجة » إلى الزوجين المتحابين تبارك لهما ، وخلعت « قلايتها » لتجعلها فى عنق زينب هدية عروس !

كان ذلك قبل أن ينزل الوحى على أبيها ﷺ . ولما أشرقت الأرض بنور ربها آمنت زينب فىمن آمن ولكن أبى العاص لم يكن من السهل عليه أن يخلع دينه ! وأحسّ كلاً الزوجين أن قوة أقوى من حبهما تحاول أن تفرق بينهما ! أما هو فقد أعلن التمرد والعصيان : « لن ينال مما بيننا يا زينب - أن تكونى على دينك ، وأثبت على دينى ! » .

وأما هى فقالت : « قليلاً يا صاحبى ، لستُ حلاً لك ، وأنت على ذلك الدين ، فأسلمنى إلى أبى ، أو أسلم معى .. لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت ! » .

(١) ذكر ابن سعد أن أبى العاص تزوج بزينب قبل النبوة . ويقول الإمام الذهبى : وهذا بعيد ثم يقول : أسلمت زينب وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين .

وأطرق الزوجان ساعة يفكران ! وأفاقا على هاتف يهتف بهما : لئن فرق الدين بين جسديهما فسوف يظل حبيهما ! حتى يجمعهما دين !
 وتمر الأيام على هذا الوضع بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وتسير قريش إلى بدر لحرب الرسول ﷺ ويسير فيهم « أبو العاص بن الربيع » ، لا ليعلن إسلامه ، ولكن ليحارب الرسول ﷺ في جيش المشركين !
 ويتأزم الموقف حين يقع « أبو العاص » أسيراً في يد المسلمين عند الرسول ﷺ بالمدينة !

وتبعث قريش في فداء أسراها .. وتبعث « زينب » مالا وقلادة لتفتدي أسيرها « أبا العاص بن الربيع » !!
 ويرى الرسول ﷺ « القلادة » ، فيرق لها رقّة شديدة ويقول : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها .
 وهنا يأخذ الرسول ﷺ وعداً من أبنى العاص بأن يُخلّى سبيل زينب ، ويُعيدها إليه بالمدينة^(١) !

وعاد أبو العاص إلى مكة ، وفي نفسه صورة أكثر إشراقاً لهذه الزوجة البرّة الكريمة ، ولكنه عاد لا يشكر لها ما منّت به عليه ، بل ليقول لها : « عودي إلى أبيك يا زينب » ، وفاء بما أخذ عليه رسول الله ﷺ من عهد بأن يدعها تسير إليه ، وخنفته العبرة ، فما استطاع أن يتمالك ، ولا أن يُشيعها إلى أطراف البادية - حيث كان في انتظارها خارج مكة زيد بن حارثة ورجل من الأنصار ! ومن أين له أن يجد في نفسه القدرة على توديع من يحب ، وإنه ليعلم أنه الوداع الأخير ، مادام سلطان هذا الدين قائماً بين القلبين ! ، وكلاهما مستمسك بدينه !

ومضى يقول لأخيه كنانة بن الربيع : « يأخى إنك لتعلم موضعها من نفسي ، فما أحب أن لي بها امرأة من قريش ، وإنك لتعلم أن لا طاقة لي بأن أفارقها ، فاصحبها عنى إلى طرف البادية حيث ينتظر رسولاً محمداً ،

(١) يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء : روى عن عائشة بإسنادٍ واهٍ .

وارْفُق بها في السَفَر ، وارْعَهَا رعايَةَ الحرَمات ، ولو نثرت عليها كنانتك^(١) لا يرنو منها رجل حتى تبلغ ! » .

وبينا هي تستعِدُّ لكي تلحق بأبيها لِقَيْتِها هند بنت عُتْبَةَ ، فقالت : أَى ابنة محمد ، أَلَمْ يُلْغِنِي أَنْك تريدن اللّٰهُوَ بِأبيك ؟
فقلت زينب : ما أردت ذلك !

فقلت هند : أَى ابنة عمي ، لا تفعلِي .. إن كانت لك حاجة بمِتاح مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تبلغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجتك ، فلا تخرجي منى ؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال !
قلت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكنى خِفْتُها ، فأَنكرت أن أكون أريدُ ذلك ، وتجهِزُ .

ولما فرغت من جهازِها قَدِمَ لها حَمُوها : كنانَةُ بن الربيع أخو زوجها - بعيداً فركبته ، وأخذ قوسه وكنائته ، ثم خرج بها نهاراً وهي في هودج لها يقودُ بعيداً .

ولكن هل تتركها قریش - بعد هزيمتها في بدر - تخرج على مرأى ومسمع من الناس ؟ لا .. ثم لا !! فلقد تحدث رجال من قریش بذلك ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوًى !! فكان أول من سبق إليها « هَبَّار بن الأسود بن المطلب » ، و« نافع بن عبد القيس » ، فروَّعها « هَبَّار » بالرمح وهي في « هودجها » ، وكانت زينب حاملاً ، فلما رجعت طرحت ما في بطنها^(٢) !!

وهنا يتصدى حموها .. أخو زوجها لهؤلاء المعتدين قائلاً : « والله لا يدنو منى رجل إلا وَضَعْتُ فيه سهماً » .

فانفض الناس عنه ، وأتاه أبو سفيان في جماعة من قریش فقال : أيها الرجل ، كَفَّ عنا نبلك حتى نكلمك . فكف ، فأقبل أبو سفيان ، حتى

(١) الكنانة : جبة من الجلد اللين . والمراد : لا تلذخ جهداً في حمايتها حتى آخر سهم .

(٢) في الاستيعاب : «دفنها أحدهما ، فسقطت على صخرة وأسقطت وأهرق - الدماء » .

اقترب منه وقال : إنك لم تُصِيب .. خرجت بالمرأة على رعوس الرجال علانية
من بين أظهرنا !! :

إن ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت .. وإن ذلك
ضعف منا ووهن !

لعمري مالنا حاجة في حبسها عن أبيها .. ومالنا في ذلك من ثورة ، ولكن
ارجع المرأة .

ولما هدأ الصوت خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ،
فقدما بها على رسول الله ﷺ . وافترق الزوجان ، فلا سبيل إلى لقاء ، وأقام
« أبو العاص » بمكة شريداً مبليلاً الفكر جريح القلب !

وأقامت « زينب » بالمدينة معتلة البدن ، وأهنة القلب ، ولولا الإيمان
والتقى يشدان من عزيمتها لأعجلها الموت ، ولم تظفر بلقاء !

ومضت سنوات وسنوات ، ويخرج أبو العاص في تجارة له إلى الشام ،
وفي طريق العودة تلقاه سرية لرسول الله ﷺ فتصيب ما معه من أموال ولكنه
يُفَلت من أيديهم .. لقد فقد ماله ومال الناس ، ولا سبيل إلا أن يرد الأمانات
إلى أهلها .. فماذا يفعل !؟

لقد تذكر « زينب » التي بادلته الحب والوفاء .. فدخل المدينة ليلاً ،
وطلب منها أن تُجِيره ، وتُعِينه على رد ماله فأجارته ، وأصبح الناس يسعون
إلى المسجد ، وكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه ، وإذا صوت يهتف
من وراء جدار : « أيها الناس ، إني قد أجرتُ العاص بن الربيع ، فهو في
حمايتي وأمنى » وكانت زينب هي التي تهتف !

وفرغ النبي ﷺ من صلاته فأقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل
سمعت ما سمعت : إنه يجير على المسلمين أذنأهم ! » ثم دخل على ابنته ، فحدثها
وحدثه ، وأوصاها قائلاً : « أُنِي بُنْيَة أُكْرِمِي مشواه ، ولا يخلص إليه ، فإنك
لا تحلين له مادام مشركاً »^(١) وأكبر محمد ﷺ أن يرى في ابنته هذا الوفاء

(١) ذكره الإمام الذهبي عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان .

وروى الإمام الذهبي عن محمد بن إبراهيم التيمي ، قال :
خرج أبو العاص إلى الشام في غير لقريش ، فانتدب لها زيد في سبعين ومائة راكب ، فلقوا المعير =

لزوجها الذى فارقتة لأمر الله ، وقطعت ما بينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله ، ثم ما برحت مع كل أولئك تمنحه البر والوفاء والمعونة : بر المسلمة ، ووفاء الصديقة ، ومعونة الإنسان ! ونال من نفس النبي ﷺ ما سمع وما علم فأضرمر فى نفسه رجاء إلى الله ! ثم بعث ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال : « إن هذا الرجل منا حيث علمتم ، وقد أصبم له مالا ، فإن تحسنوا إليه ، وتردوا عليه ماله ، فإننا نحب ذلك ! وإن أيمم فهو قىء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . »

قالوا : « بل نرده عليه » . وقال نفر منهم : « يا أبا العاص ، هل لك أن تُسلم ، وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين : فقال الرجل : بئس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى ! » .

وردوا إليه ماله ، كرامة لرسول الله ﷺ وإكبارا لزينب ، وعاد الرجل إلى مكة بماله ، ومال الناس ، ونفسه تفيض بمعان شتى ، وبين عينيه صورة لا تفارقه ، فلما أدى لكل ذى مال ماله وقف ثم قال : يا معشر قريش ، هلبقى لأحد منكم عندى مال ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيرا ، وقد وجدناك وفيا كريما . قال : « فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوفى أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت » قال الشعبى : أسلمت زينب وهاجرت ، ثم أسلم بعد ذلك ، وما فرق بينهما^(١) .

وخرج أبو العاص من مكة إلى المدينة مهاجرا يهديه نور الإيمان واليقين ، وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية بعد فراق طويل من دونه سنوات .

ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبها ، وفرغت من دنياها حين هددت الرجل الذى أحبته ، ووفت له بمقدار ما أحبها ، ووفى لها ، فما مضى

فى سنة ست ، فأخذوها ، وأسروا أناسا ، منهم أبو العاص ، فدخل على زينب سحرا ، فأجارتها ، ثم سألت أباه ، أن يرد عليه متاعه . ففعل ، وأمرها ألا يقربها مادام مشركا .

فرجع إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه ، ثم رجع مسلما مهاجرا فى المحرم سنة سبع ، فرد عليه زينب بذلك النكاح الأول . (سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٧٦) .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي . وكذا قال قتادة ، وقال : ثم أنزلت «براءة» بعد فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فلا سيل له عليها إلا بخطبه .

زمان بعد هذا اللقاء حتى كانت قد استوفت أنفاسها على الأرض !!
وتوفيت زينب سنة ثمان للهجرة فحزن عليها رسول الله ﷺ حزناً
عظيماً . وفارقت الدنيا بعد أن خلفت أطيب الذكرى ، وضربت المثل أبلغ
المثل في وفاء الزوجة ، وإخلاص المحبة ، وصدق الإيمان !، وليس عجيباً أن
يقول فيها زوجها في بعض أسفاره إلى الشام :
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيئ بالذى علما !!



٤ - رقية بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان

لقد ضم ركب مهاجرى الحبشة إحدى عشرة امرأة ، وهذا يعنى أن المرأة المسلمة كانت جزءاً من الدعوة والجهاد في سبيل الله .

تخلّت عن أعراض حياتها الزائلة من مال وولد وأهل وبلد في سبيله . تركت وطنها الغالى ومضت إلى الحبشة حيث الأرض الثابتة والغربة عن الجنس واللون والقوم في سبيل العقيدة التي آمنت بها .

وعندما انبثق فجر الدعوة من مكة كان أول مهاجرين جديدين ليسا رجُلَيْن ، ولكنهما رجل وامرأة : هذان المهاجران هما : عثمان بن عفان ، ورقية بنت محمد ﷺ . لقد جاءت « رقية » إلى الوجود بعد أختها زينب ، ومن بعدهما جاءت « أم كلثوم » التي رافقتها في حياتها بعد انتقال زينب كبراهن إلى بيت الزوجية .

وعندما قاربنا سن الزواج تقدم أبو طالب يخطبهما إلى ابني أبي لهب ، ويشاء الله ألا يتم هذا الزواج نظراً لموقف أبي لهب من الإسلام ..

ولكنه سبحانه يسوق إليهما عثمان بن عفان فيتزوج رقية .. ويهاجر معها إلى الحبشة وتبقى أم كلثوم مع أبيها وأُمها في انتظار ما قدر لها !

يقول الإمام الذهبي : هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعاً . قال عليه السلام : « إنيهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط »^(١).

يقول أنس بن مالك - رضى الله عنه :

خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته - رقية بنت رسول الله ﷺ - إلى

(١) سير أعلام النبلاء (ج : ٢ ص ١٧٨) .

أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ - خبرهما ، فقدمت امرأة من قريش فقالت :

« يا محمد ، قد رأيت نَحْتَكَ - أى صهرك - ومعه امرأته » قال : على أى حال رأيتهما ؟

قالت : رأيته قد حمل امرأته على خمار من هذه الدابة الضعيفة التى تدب فى المشى - يسوقها » .

فقال رسول الله ﷺ -

« صحبهما الله . إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام »^(١) . وعادت « رقية » مع « عثمان » إلى مكة ثانية لتجد أمها قد لحقت بالرفيق الأعلى !

وتحول المسلمون جميعاً من مكة إلى المدينة فصحبهم رقية مع زوجها عثمان لتصبح ذات المهجرتين .

إن هجرة الحبشة كان الدافع إليها مخافة الفتنة ، والفرار إلى الله بدينهم ، ولم يكن الدافع إليها هو القيام بنشر الدين الإسلامى ، لأن بلاد الحبشة فى ذلك الوقت كانت تدين بالمسيحية ، ولن تقبل المسيحية هناك أن يزاحمها الدين الجديد حتى ولو كان على رأس الحبشة ملك لا يُظَلَم عنده أحد .

والهجرة إلى الحبشة حققت جزءاً من التحول والانطلاق ، لأن النتيجة التى كان يرجوها المسلمون المهاجرون من هجرتهم إلى الحبشة هى أن يفروا بدينهم إلى أرض يطمئنون عليها ، ويستقروا بها ، ولا يتعرضون فيها لبطش ولا لأذى حتى إذا قدر لإخوانهم فى مكة أن يفتنوا عن آخرهم ، حملوا هم بعدهم لواء الدعوة !! أما الهجرة إلى المدينة ، فقد كان الفرار بالدين أحد الأسباب لكن ليس الدافع الأساسى ، فالدافع الأساسى هو التحول والانطلاق حيث يتيسر للمهاجرين أن يؤسسوا فى مهاجرهم وطناً لهم . فقد كان الإسلام طوال ثلاثة عشر عاماً ديناً بلا وطن وشعباً بلا دولة^(٢) .

(١) ذكره الإمام الذهبى مختصراً .

(٢) الهجرة بداية مراحل التحول والانطلاق . محمد عبد الله عنان .

لقد كانت الهجرة هي التي تمثل المرحلة الثانية من مراحل الدعوة هي مرحلة نضال من أدق مراحل النضال أيضا ، وإذا كانت هذه المرحلة النضالية قد اتسمت بالمغامرة ، فإن المغامرة ليست إلا لونا من النضال ، بل هي أسمى ألوان النضال البطولي ..

ولقد توجت هذه المرحلة النضالية بالنصر .. انتصر الإيمان على القوة ، وانتصرت الروح على المادة ، وانتصر الحق على الباطل ..
إن عظمة النصر تجل عن الوصف والتقدير .. إنها ..

تحرّر من الخوف وانطلاق نحو الأمن . تحرر من العبودية وانطلاق نحو الحرية . تحرر من الذلة وانطلاق نحو العزة . تحرر من الضيق وانطلاق نحو الفرج . تحرر من الشلل وانطلاق نحو الحيوية . تحرر من الضعف وانطلاق نحو القوة . تحرر من قيود الكلمة وانطلاق نحو حرية الكلمة .

وتلقى رقية ربها بعد أن وقعت فريسة الحمى .. ويتقدم عثمان إلى رسول الله ﷺ فيزوجه « أم كلثوم » .

رحم الله رقية ذات الهجرتين ، وعثمان ذا النورين وجزاها عن جهادهما وصبرهما أوفى الجزاء .



٥ - أم حكيم بنت الحارث المخزومية

زوج عكرمة بن أبي جهل

صورة من صور الإيمان بالله والرسول .. ورمز للتضحية والفداء في سبيل الله .. إنها مجاهدة جليلة !

قبل أن تُسَلِّم خرجت مع زوجها لتشهد غزوة أحد .. لقد كان زوجها عكرمة بن أبي جهل .. وكان عليها أن تقف في صفوف المشركين !

لكنها أسلمت يوم « الفتح » وحدها دون زوجها ! أما زوجها « عكرمة ابن أبي جهل » فقد طلبت له الأمان ! فأمنه المسلمون ! لكنه كان قد هرب ! فخرجت في طلبه تبحث عنه وقد هرب إلى اليمن فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر فجعلت تصيح إليه وتقول :

يا بن عمّ ، جئتك من أوصل الناس ، وأبّر الناس ، وخير الناس !
لا تُهلك نفسك ! وقد استأمنتُ لك فأمنك ! فقال : أنت فعلت ذلك ؟
قالت : نعم أنا كلمته فأمنك !

فرجع معها ، فقدم عكرمة ، فأنتهى إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه ، فاستأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت .

فأخبر عمر رسول الله ﷺ بقدم عكرمة فأسلم . وكانت « أم حكيم » ممن وقفن حول الرسول ﷺ في خدمة الدعوة والدفاع عنها فقد شهدت « وقعة اليرموك »^(١) وأبليت فيها بلاء حسنا ، فقاتلت فيها أشد القتال في

(١) وإدبناحية الشام .

موقعة « مرج الصفر »^(١) .

لقد خرجت بعمود الفسطاط فقتلت سبعة من الروم . أرأيت ماذا تفعل
المرأة المسلمة لزوجها ولدينها*!؟



(١) بنو حنن دمشق .

(*) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى المراجع الآتية :

- | | |
|--------------------------|-------------------------------|
| ١ - تاريخ الطبري | ٢ - أسد الغابة لابن الأثير . |
| ٣ - الموطأ | ٤ - الاستيعاب لابن عبد البر . |
| ٥ - تاريخ ابن عساکر | ٦ - طبقات ابن سعد . |
| ٧ - سيرة ابن هشام | ٨ - الإصابة لابن حجر . |
| ٩ - فصح البلدان للبلاذري | ١٠ - الوالي بالوفيات للصفدي . |

٦ - خولة بنت مالك بن ثعلبة

ذات فصاحة وبلاغة ..

كانت على صلة بالله .. لم تفقد إيمانها به في أحلك اللحظات ! بل راحت تحتكم إلى الله ورسوله !

قصتها مع زوجها أضعها بين يدي الأزواج والزوجات حين يكون خلاف وجدال ، ومراجعة وخصام .

« قالت^(١) : فَيَّ - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله - عز وجل - صدر سورة المجادلة ؛ قالت :

كنتُ عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقُه ، وضَجِر ، قالت : فدخل عليَّ يوماً ، فراجعته بشيء ، فغضب ، وقال : أَنْتِ عَلَيَّ كظَهْرِ أُمِّي ، ثم خرج فجلس في نادى قومه ساعةً ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني .

قالت : فقلت : كلا والذي نفسي بيده لا تَجُلُصَ إليَّ ، وقد قلتُ ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فينا .

قالت : فوائبني ، فامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى !

ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ..

فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه ، قالت :

(١) الإصابة : ج ٨ ص ٦١٨ - ٦٢٠ .

فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خويلة ؛ « ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله » .

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن ، فتعشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ، ثم سرى عنه .

فقال : يا خويلة ؟ قد أنزل الله فيك وفي صاحبك . ثم قرأ علي : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ [المجادلة : ١ - ٤]

قالت : فقال رسول الله ﷺ : مريه فليحق رقبة . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ، ما عنده ما يعتق .

قال : فليصم شهرين متتابعين .

قالت : فقلت : والله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة .

قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً^(١) من تمر .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، ماذا عنده .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « فإننا سنعينك بعذق من تمر » .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعذق آخر .

فقال : قد أصبت وأحسن ، فاذهبي فتصدق به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيراً .

قالت : ففعلت . . .

هذه هي خولة . في قصتها دروس لالتمام الحياة الزوجية ، والإسهام رأب الصدع ، ورعاية القرابة ، وكبر السن بين الأزواج والزوجات .

روى أن عمر بن الخطاب مر بها في زمن خلافته ، وهو على حمار ، والناس حوله ، فاستوقفته ، ووعظته فقبل له :

(١) الوسق : حمل بعير . والوسق : ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ .

أتقف لهذه العجوز هذا الموقف ؟

فقال : أتدرون من هذه العجوز ؟

هى خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أسمع رب العالمين قولها ، ولا يسمعه عمر^(١) !

لم تلجأ خولة إلى العنف ، ولم تفكر فى الجريمة فإن ذلك ليس من خلق الإسلام ، بل راحت تلتمس الحل عند الله ورسوله وتشكو أمرها إلى الله الذى خلقها فهو القادر على أن يفك كربها ، ويجعل من بعد عُسرٍ يسراً .

وإن شئت أن تسمعها وهى تعرض شكواها على رسول الله ﷺ فتعائنى إلى ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه ، والبيهقى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« تبارك الذى وسع سمعه كل شئ ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول : يا رسول الله ، أكل شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر سبتى ، وانقطع ولدى ، ظاهر منى ! اللهم إني أشكو إليك !!

قالت : فما برحت حتى نزل جبريل - عليه السلام - بهؤلاء الآيات^(٢) . وقد أوصى النبى ﷺ بالنساء خيراً ، وكان المثل الأعلى فى معاملة زوجاته ، يقول فى ذلك^(٣) :

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه . »
ويقول أيضاً :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم . »
ويقول ﷺ فى آخر خطبة له :

(١) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة .

(٢) رجاله ثقات .

(٣) كنز العمال (٢٥٨/٩ - ٢٦١) .

« استوصوا بالنساء خيرا »^(١) وللرسول ﷺ أحاديث شتى في الوصاية بالزوجات ، والحث على إحسان معاملتهن . وقد أبطل الإسلام الظُّهار . واعتبره الإسلام منكراً من القول وزوراً يعاقب من ينطق به على سفهه عقاباً رادعاً له عن العودة إلى مثله ويزجر غيره عن أن يفعل فعله .



(١) عن عمرو بن الأحوص في حديث طويل في ذكر حجة الوداع عن النبي ﷺ قال : « ألا استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا وإن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم : فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » . أخرجه الترمذی وصححه . ومعنى عوان : أسيرات .

ثالثاً

المرأة المسلمة بنتاً

- فاطمة بنت محمد ﷺ
- أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه
- درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب
- أم كلثوم بنت عقبة بن معيط
- الخنساء بنت خدام
- بريرة مولاة عائشة

بنات مثاليات

❖ بنات مثاليات

يحدثنا التاريخ عن بنات مثاليات كان لهن وجودهن وشأنهن ورأيهن في أسرهن !

لم تكن البنت عنصراً سلبياً خاملاً ، وإنما كانت عنصراً إيجابياً ناشطاً قادراً على المشاركة في تحمل المسؤولية .

وعلى رأسهن « فاطمة الزهراء » ، بنت النبي ﷺ فقد كانت « أم أيها » وريحانته ، ومؤنسته في عطف وحب !

ومن يقرأ سيرتها يدرك إلى أي مدى قامت بدور أمها « خديجة بنت خويلد » بعد أن لقيت ربها .. ومن يتابع خطوات البنت المسلمة على طريق الهداية والرشاد يجد أنها كانت صاحبة الرأي في أمر دينها يوم أن أشرقت شمس الإسلام في مكة المكرمة « أم القرى » وراح الرسول ﷺ ينذر « أم القرى » ومن حوّلها ويشرهم بالدين الجديد !

وهذه نماذج لبنات مثاليات :



صلى الله
عليه وسلم

١. فاطمة بنت النبو

« أم أبيها » فهي كريمة الطرفين بنت سيد الخلق رسول الله أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

البتول : المنقطعة للعبادة ، أو التى انقطع نظيرها فضلا وعلما وخلقا وأدبا وحسبا ونسبا .

كانت أصغر من زينب زوجة العاص بن الربيع ، ومن رقية زوجة عثمان ابن عفان .

ولقد كانت أحب أهل النبى إليه فقال : « فاطمة بضعة منى يربى مارأبها ، ويؤذنى ما آذاها »^(١).

إنها سيدة نساء العالمين ، وأفضل نساء أهل الجنة أجمعين وابنة حبيب رب العالمين وأم الحسن والحسين . قال الزبير بن بكار : انقضى عقب زينب ، وصح أن الرسول ﷺ جلل فاطمة وزوجها وابنيهما بكساء وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا »^(٢).

وعن أبى هريرة قال : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ تسأله خادما ، فقال لها : قولى : « اللهم رب السموات ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر ، فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن

(١) ابن عبد البر فى الاستيعاب .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٨٨ .

فليس دونك شيء ، اقض عني الدين ، واغنني من الفقر » .

[أخرجه الترمذى]

هذه فاطمة بنت النبی ﷺ تخدم نفسها بنفسها وتحمل أعباء بيتها .
وذكر الطبراني أنه لما انصرف المشركون في أحد خرج نساء الصحابة لتقديم العون لهم ، فكانت فاطمة فيمن خرج ، فلما لقيت النبي ﷺ اعتنقته ، وجعلت تغسل جراحاته بالماء ، فيزداد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقه بالنار ، وكمدته به حتى لصق الجرح ، فاستمسك الدم^(١) .

وفي معترك الأحداث التي تحياها أمتنا يتجلى دور البنت المسلمة فيها ، لتكون الأسوة الطيبة لفتاة اليوم المسلمة .

إن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء بنت الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن أثناء المعركة في سرادق ضخمة ، بل كانت تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف ، وتساقط النبال كالطر على المسلمين لإيصال الغذاء والدواء والسقاء للمقاتلين .

وهذه صورة أخرى لابنة خير الخلق أجمعين أهديتها لعرائس اليوم اللاتي يحملن الأزواج مالا يطاق !!

قال علي - رضي الله عنه - :

لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونضعه على الناضح بالنهار . مالي ولها خادم غيرها !

ولما زوّجها رسول الله ﷺ أرسل بي معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاءين ، وسقاء وجرتين ، فجرت بالرحاء حتى أثرت في يدها . واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها . وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها . وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها^(٢) .

هذه هي الزهراء أم حفيدي الرسول : الحسن والحسين !

(١) سمط النجوم العوالي : ج ٢ / ٨٨ [أخرجه الشيخان والترمذى] .

(٢) ابن الجوزي - أحكام النساء . والناضح البعير الذي يستقى عليه . والأدم : الجلد .

لقد كانت من حوله .. فلا عجب أن تركت أجهل الأثر في قلبه الحنون .
وستظل الدنيا تذكر فاطمة « أم أبيها محمد » البتول .. الزهراء ..
الطاهرة .. المتعبدة .. الزاهدة التي كلما قرصها الجوع سجدت .. وكلما
هدها التعب ذكرت ، ويحدثنا الإمام مسلم عن فضائلها فيروى عن عائشة رضي
الله عنها قالت :

« كُنَّ أزواجُ النبي ﷺ عنده ، لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة -
رضي الله عنها - تمشى ، ما تخطىءُ مِشيتها من مِشية رسول الله ﷺ شيئا ،
فلما رآها رَحِبَ بها فقال : « مرحباً بابنتي » ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن
شماله ، ثم سارَّها ، فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى جَزَعَهَا سارَّها الثانية ،
فضحكت ، فقلت لها : خصَّكَ رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسُّرَّار ، ثم
أنت تبكين ؟!

فلما قام رسول الله ﷺ ، سألتها : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟!
قالت : ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره .
قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت لها :

عزمت عليك بمالي عليك من الحق لَمَّا حَدَّثْتَنِي ما قال لك رسول الله ﷺ
ﷺ ، فقالت : أما الآن فنعم .

أما حين سارَّني في المرة الأولى ، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن
في كل سنة مرة ، وإنه عارضه الآن مرتين ، وإني لا أرى الأجل إلا قد
اقترَبَ ! فاتفق الله ، واصبري ! فإنه نعم السَّلَفُ أنا لك .
قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت .

فلما رأى جزعي ، سارَّني الثانية فقال : « يا فاطمة ، أما ترضين أن
تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة » ؟!
قالت : فضحكت ضحكي الذي رأيت .

هذه هي فاطمة الزهراء عاشت على قدرها وشرفها عيشة ضنك ..
فقد جرَّت بالرحى حتى أثرت في يدها !

واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها !

وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها !

وقد كفاها على الخدمة خارجا ، فقال لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم :

اكفى بنت رسول الله ﷺ الخدمة خارجاً ، وسقاية الماء والحاج ،

وتكفيك العمل في البيت : العجن ، والخبز ، والطحن^(١) .

ولما علم زوجها على أن النبي ﷺ قد جاءه خدم ، قال لفاطمة : لو

أتيت أباك فسألتيه خادماً !

فأنته فقال لها النبي ﷺ : « ما جاء بك يا بنية ؟! » .

قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحيت أن تسأله ، ورجعت ، فأتاها

رسول الله ﷺ من الغد ، فقال : « ما كانت حاجتك ؟ » فسكت !

فقال على : أنا أحدثك يا رسول الله ، جرّت الرحي حتى أثرت في

يدها ، وحملت القربة حتى أثرت في نحرها ، فلما أن جاءك الخدم ، أمرتها

أن تأتيك فتستخدمها خادماً تقبها حرّ ما هي فيه !

فقال النبي ﷺ : « والله لا أعطيكما ، وأدع أهل الصّفة تطوى

بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم ، وأنفق عليهم أثمانهم » .

فرجعا ، فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا غطيا رعوسهما

تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رعوسهما ، فثارا .

فقال : « مكانكما . ألا أخبركما بخير مما سألتماي ؟! » فقالا : بلى .

فقال : « كلمات علمنهن جبريل : تسبحان في دبر كل صلاة عشرا ،

وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا ، وإذا أويّتا إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً

وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين » .

وتعطينا المثل في تربية ابنيها :

لقد كانت ترقص ولدها الحسين وتقول :

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي برواية الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال : قال على

لأمه : الخ .

ليس شبيها بعلي

إن بني شبه النبي

وتعطينا المثل عند الوفاة ..

فعند وفاة والدها .. وعندما ثقل النبي ﷺ وجعل الموت يتغشاه قالت فاطمة : واكرب أبتاه !

فقال لها النبي ﷺ : « ليس على أيك كرب بعد اليوم » .

فلما توفي قالت : يا أبتاه ، أجاوب رباً دعاه .. يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه .. يا أبتاه إلى جبريل نعاها .

لقد روت عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً ، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه في مسند عائشة وروى لها الترمذي وابن ماجه وأبو داود .

ويقول ابن الجوزي ، ولا نعلم أحداً من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة .

وشكت فاطمة إلى أسماء بنت عميس نحول جسمها ، وقالت أتستطيعين أن تواريني بشيء ؟!

قالت : إني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ، ويشدون النعش بقوائم السرير ، فأمرتهم بذلك ، وعمل لها نعش قبل وفاتها .

فنظرت ، فقالت : سترتموني ستركم الله^(١) !

قال ابن عبد البر : هي أول من غطى نعشها في الإسلام .

وغسلها على وأسماء ، ولم تسمح أسماء لأحد باليدخول عليها .

ووقف على عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

رضى الله عنها .. لقد كانت ملء السمع .. وملء العين .. وملء

القلب ..

(١) أورده الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء بنحوه عن قتيبة بن سعيد .. عن أم جعفر .

أم أبيها .. وأوثق الناس صلة به ، وأشفقهم عليه .. وأعيد عليك هذا الموقف ..

عندما جرح ﷺ بأحد خرجت مع نساء من المدينة تستقبله لتطمئن عليه ، فلما رأت جراحه احتضنته ، وعانقته ، وصارت تمسح الدم عنه ، ثم أخذت ماء وغسلت وجهه !

ما أروعه من موقف خفقت فيه قلب محمد ﷺ بحب ابنته وحُنوّه عليها !
وكأني بالزهراء - عليها السلام - يترقق الدمع من مآقيها ، ويخفق قلبها بالحب والحنان !

وبعد .. فهذه هي « الزهراء » بنت النبي .. بنت القائد .. تضرب المثل .. وتخرج هي وأربع عشرة امرأة منهم « أم سليم بنت ملحان » و« عائشة أم المؤمنين » - رضى الله عنهما - .. تحمل الماء في قربة .. والزاد على ظهرها .. تطعم المؤمنين المحاربين وتسقيهم !



٢-

اسماء بنت أبى بكر الصديق

مهاجرة جليلة ..

وسيدة كبيرة بعقلها ، وعزة نفسها ، وقوة إرادتها ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة .

وهى أكبر سناً من أختها لأبيها « عائشة » أم المؤمنين بعشر سنين .
وهى شقيقة عبد الله بن أبى بكر :

دُعيت بذات النطاقين ؛ لأنها أخذت نطاقها فشقتة شطرين فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لِقربته ليلة خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق إلى الغار .

وكان أهل الشام يُعَيِّرون ابن الزبير بذات النطاقين يوم كانوا يقاتلونه !
فقالت لابنها عبد الله : عَيَّروك ؟!

فقال : نعم .

قالت : فهو والله حق !

وقالت أسماء لما قابلت الحجاج : وكيف تُعَيِّر عبد الله بذات النطاقين ؟!
أجل .. قد كان لى نطاق لا بد للنساء منه ، ونطاق أغطى به طعام رسول الله ﷺ .

لقد أسلمت قديماً بمكة بعد إسلام سبعة عشر إنساناً ، وبايعت النبی ﷺ ، وآمنت به إيماناً قوياً .

حسن إسلامها :

فمن حسن إسلامها : أن « قتيلة بنت عبد العزى » قدمت على ابنتها أسماء بنت أبى بكر الصديق - وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية - بهدايا زيب وسمن وقرط ، فأبت أن تقبل هديتها أو تدخل بيتها !
فأرسلت إلى عائشة : سلى رسول الله ﷺ ... ؟
فقال : لَتَدْخُلْ بيتها ، ولَتَقْبَلَ هديتها !

حسن تصرفها !

واحتمل أبو بكر - رضى الله عنه - ماله كله لما خرج رسول الله ﷺ مهاجرا ، وقدره خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بما معه !
ثم دخل جدّها « أبو قحافة » على أسماء - وقد ذهب بصره - فقال : والله إني لأراه قد فجّعكم بماله كما فجّعكم بنفسه !
فقال له : كلا يا جدى ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كُوة البيت الذى كان أبوها يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقالت : ضع يدك على هذا المال .. فوضع يده عليه .. فقال : لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .
والحقيقة أنّ أبا بكر لم يترك لعياله شيئا ولكنها أرادت أن تسكن روع ذلك الشيخ .

تزوجها الزبير بن العوام ، وماله فى الأرض مال ولا مملوك ولا أى شىء غير فرسه ! فكانت تغلف فرسه ، وتكفيه مئونته ، وتسوسه ، وتدق النوى لناضحه^(١) .. وتسقيه الماء .. وتعجن ..

وكان الزبير شديداً عليها ، فأنت أباهما وشكت ذلك إليه ! فقال لها : يا بنية ، اصبرى ؛ فإن المرأة إذا كان زوج صالح ثم مات عنها ، فلم تزوج بعده جمع بينهما فى الجنة .

وجاءت أسماء النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله : ليس فى بيتى شىء

(١) البعير الذى يقوم بجلب الماء . أو الفرس .

إلا ما أدخل على الزبير . فهل على جناح في أن أرضخ مما يدخل على به ؟
 فقال : « أرضخى ما استطعت ، ولا ثوكى ، فيوكى عليك »^(١) .
 فكانت امرأة سَخِيَّة النفس . وعن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - قال :
 ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلف : أما عائشة ،
 فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت . وأما أسماء فكانت لا
 تمسك شيئاً لغد .

وشهدت أسماء وقعة اليرموك مع زوجها الزبير وأبلى فيها بلاء حسناً ،
 واتخذت خنجرأزمن سعيد بن العاص في الفتنة فوضعت تحت مرفقها . فقيل
 لها : ما تصنعين بهذا ؟

قالت : إن دخل على لصرٌ بعجت بطنه !

وفرض عمر بن الخطاب لأسماء ألف درهم !

وروت أسماء عن النبي ﷺ ٥٨ حديثاً^(٢) وفي رواية ٥٦ حديثاً اتفق
 البخارى ومسلم على أربعة عشر حديثاً وانفرد البخارى بأربعة ، وانفرد مسلم
 بمثلها^(٣) .

وفي رواية أخرج لأسماء من الأحاديث في الصحيحين اثنان وعشرون
 المتفق عليه منها ثلاثة عشر ، وللبخارى خمسة ، ولمسلم أربعة^(٤) .

شاعريتها وثورتها :

وكانت أسماء شاعرة ناثرة ذات منطق وبيان فقالت في زوجها الزبير لما
 قتله عمرو بن جرموز الجاشعى بوادى السباع^(٥) ، وهو متصرف من وقعة
 الجمل :

غَدَرَ ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير مُعَرَّد

(١) أرضخى : أعطى وتصدق . لا ثوكى : لا تُلْقِى ولا ترمى ، فَمَنعَ عَنَّا
 والحديث ذكره ابن الأثير بلفظ : « أعطى ولا توكى ... » .

(٢) مطالع الأنوار للكانزوى .

(٣) الكمال في معرفة الرجال للحافظ المقدسى .

(٤) المصنف لابن الجوزى .

(٥) وادى السباع : بينه وبين البصرة خمسة أميال .

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعن الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المعتمد^(١)
جودها وكرمها :

وكانت أسماء ذات جود وكرم لا تدخر شيئاً لغد ، فكانت تمرض المرضى
فتعق فيها كل مملوك لها .

مضاء عزيمتها وعزة نفسها وشجاعتها :

تبئنا كلماتها كلها لابنها عن تلك المعاني النبيلة .. فلقد دخل عليها ابنها
عبد الله وهي عمياء قد بلغت مائة سنة وقال لها :
يا أماء ، ما ترين ؟!

قد خذلني الناس ، وخذلني أهل بيتي ! فقالت : لا يلعن بك صبيان
بنى أمية .. عش كريماً ومُت كريماً !

والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً ! فخرج فقاتل حتى قتل !
وقيل : إن الحجاج حلف ألا يُنزله من تلك الخشبة حتى تشفع فيه أمه
فبقي سنة ثم مرت تحته أمه فقالت : أما آن لهذا أن ينزل !
وذكروا أن الحجاج قال لأسماء بعد قتل عبد الله : كيف رأيته صنعت
بابنك ؟

فقالت : أفسدت عليه دنياه .. وأفسد عليك آخرتك !
وتوفيت أسماء بمكة ولها مائة سنة لم يسقط لها سن ، ولم يتكّر لها عقل^(٢) !
ويسجل كاتبنا مصطفى لطفى المنفلوطي ما دار بين أسماء وعبد الله في
قصيدة تعد لوحة فنية رائعة قائلاً :
إن أسماء في الوردى خير أنثى صنعت في الوداع خير صنيع

(١) قيل : إن هذه الأبيات لعائكة بنت زيد زوج الزبير .

(٢) مصادر الترجمة : طبقات ابن سعد - تاريخ الطبري - الإصابة - سيرة ابن هشام .

جاءها ابن الزبير يسحب درعا
قال : يأم قد عيت بأمرى
خائنى الصحب والزمان فمالى
وأرى نجمى الذى لاح قبلاً
بذل القوم لى الأمان فمالى
فأجابت والجفن قفر كأن لم
واستحالت تلك الدموع بخاراً
لا تُسَلِّم إلا الحياة وإلا
إن موثاً فى ساحة الموت خير
إن يكن قد أضاعك الناس فاصبر
مت هماماً كما حيت هماماً
ليس بين الحياة والموت إلا

تحت درع منسوجة من نسيج
بين أسر مرّ وبين قتل فظيع
صاحب غير سيفى المطبوع
غاب عنى ولم يعد لطلوع
غيره إن قبلته من شفيع
يك من قبل موطننا للدموع
صاعداً من فؤادها المصدوع
هيكلاً شأنه وشأن الجذوع
لك من عيش ذلة وخضوع
وتثبتت فالله غير مُضيع
واخى فى ذكرك المجيد الرفيع
كرة فى سواد تلك الجموع

وسوف تظل كلمات أسماء لابنها - حين قال لها : « يا أماه إني أخاف
إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبوني » - نوراً على طريق الحياة الكريمة .
لقد أجابته فى كلمة صامدة كالطود ، قوية كنفسها ، كبيرة كإيمانها
تلك الكلمة التى وضعت نهاية المعركة : « يا بنى ، إن الشاة لا يضيرها سلخها
بعد ذبحها » .

ويختتم المنفلوطى قصيدته بقوله :
وأق أمه التعمى فجادت - بعد لأى بدمعها المنوع

ونال عبد الله الشهادة وانتصرت القيم السماء للأمم المثالية ..
وسجلت القصة لهما أنصع الصفحات فى تاريخ الخالدين .



٣ - ذرة بنت أبك لهب بن عبد المطلب

ابنة عم النبي ﷺ

أسلمت وهاجرت وحسن إسلامها .

يقول الإمام الذهبي :

لها حديث واحد في المسند من رواية ابن عمها الحارث بن نوفل^(١).

ويذكر ابن حجر في الإصابة أن ذرة بنت أبي لهب لما قدمت المدينة مهاجرة نزلت في دار رافع بن المعلى فقال لها نسوة من بنى زريق :

أنت ابنة أبي لهب الذى يقول الله له : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد : ١] فما تغنى عنك هجرتك؟! فأنت النبي ﷺ فذكرت ذلك له ؛ فقال : « اجلسى » ، ثم صلى بالناس الظهر ، وجلس على المنبر ساعة ، ثم قال : « أيها الناس ، مالى أودى فى أهلى؟! فوالله إن شفاعتى لتال قرابتى حتى أن صداء وحكما وسلها لتالها يوم القيامة »^(٢).

وأخرج الدارقطنى فى كتاب الإخوة ، وابن عدى فى الكامل ، وابن منده عن ذرة بنت أبي لهب قالت : قال النبي ﷺ : « لا يؤذى حى بميت » .
وبهذا الأدب النبوى ينبغى أن نتحلى ، ولا نتخلى عنه أبدا مهما كانت عداوتنا للأموات !

(١) الطبقات (٨ : ٣٤) . الاستيعاب (٤ : ٢٩٠) الإصابة (٧ : ٦٣٤) أسد الغابة (٥ : ٤٤٩) .
(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة بقوله : وروى ابن عاصم ، والطبرانى وابن منده من طريق عبد الله بن بشر ، وهو ضعيف ، عن محمد بن إسحق ، عن نافع وزيد بن أسلم ، عن ابن عمر ؛ عن سعيد المقبرى وابن المنكدر عن أبي هريرة ، وعن عمار بن ياسر قالوا : قدمت ذرة إلى آخر الحديث .. الإصابة ج ٧ ص ٦٣٤

٤ - أم كلثوم بنت عقبة بن أبك مهبط

حياتها مثل من أمثلة التضحية والجهاد في سبيل الله ..
يقول ابن سعد في طبقاته :

هي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه . ولا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا « أم كلثوم » .

خرجت من مكة وحدها ، وصاحبت رجلاً من خزاعة ، حتى قدمت في الهدنة .

فخرج في أثرها أخوها ، فقدماً ثاني يوم قدومها ، فقالا يا محمد ، شرطنا أوف به .

فقالت أم كلثوم : يا رسول الله ، أنا امرأة ، وحال النساء إلى الضعف ، فأخشى أن يفتنوني في ديني ، ولا صبر لي ، فنقض الله العهد في النساء ، وأنزل آية الامتحان^(١) ، وحكم في ذلك بحكم رضوا به كلهم .

فامتحنها رسول الله ﷺ والنساء بعدها :

« ما أخرجكن إلا حبُّ الله ورسوله والإسلام ، لا حبَّ زوج ولا مال ، فإذا قُتِلَ ذلك لم يُردَّدن .

قال : ولما لم يكن لها بمكة زوج ، فتزوجها زيد ، ثم الزبير ، ثم عبد

(١) في سورة المتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ... ﴾ [الآيات : ١٠ ، ١١] .

يقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء أسلمت وبايعت ولم يتبأ لها هجرة إلى سنة سبع وكان خروجها زمن صلح الحديبية . وأخوها هما : الوليد وعمارة .

الرحمن بن عوف ، ثم عمرو بن العاص . فماتت عنده .
إنها شابة لم تنفصل من أبيها ولم تزوج .. دخل الإيمان قلبها فخرجت
من مكة وحدها مهاجرة إلى الله ورسوله .. وخرج أخوها ورائها ليعيдаها ..
وكان النبي ﷺ قد صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من
جاءهم من المسلمين .

فلما هاجر إليه النساء أتى الله أن يردهن إلى المشركين ونزلت الآيات
بامتحانهن ﴿ فامتحانهن ﴾ بالحلف . هل هن مسلمات حقيقة أم لا ؟ !
« وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله
ﷺ وهي عاتق (الشابة أول ما تدرك) فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ
أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل »

[رواه البخارى عن المسور بن مخرمة]
وقد نجحت أم كلثوم في الامتحان ونجت بدينها من قومها . قيل :
لامتحان أن تقول بالحلف :
ما خرجت إلا حبا لله ورسوله .. ما خرجت لالتماس دنيا ، ومن بغض
زوج .

وقيل : أن تشهد بالكلمة بالطيبة .
وقد شهدت على ملأ من الأشهاد : أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول
الله !

لقد كان لها منزلتها بين المسلمين ؛ يتبين ذلك مما جاء في الإصابة وأنسجه
ابن منده أن عمر بن الخطاب قال لأم كلثوم بنت عتبة امرأة عبد الرحمن
ابن عوف :

أقال لك رسول الله ﷺ : « انكحى سيد المسلمين عبد الرحمن بن
عوف » ؟ فقالت نعم .

وحديثها في الصحيحين والسنن الثلاثة قالت :
« لم أسمع - يعنى النبي ﷺ - يرخص فى شىء مما يقول الناس إنه
كذب إلا فى ثلاث ... الحديث » .

وأخرج لها النسائي في الكبرى حديثاً آخر في فضل « قل هو الله أحد » .

روت عن النبي ﷺ عشرة أحاديث أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه .

لقد آمنت « أم كلثوم بنت عقبة » دون رجال بيتها ، وفارقت خدورها ، ومستقر أمنها ودعيتها ، تحت جُنب الليل ، فريدة شريفة ، تطوى بها قدمها ثانياً الجبال ، وأغوار التهام بين مكة والمدينة إلى مفزع دينها ، ودار هجرتها .. إلى رسول الله ﷺ ثم أعقبتها بعد ذلك أمها ، فاتخذت سنتها ، وهاجرت هجرتها ، وتركت شباب أهل بيتها وكهولهم وهم في ضلالهم يعمهون^(١) . وسوف تظل كلمات أم كلثوم للرسول ﷺ نوراً يضيء الطريق لكل فتاة تؤمن بربها :

أتردني يا رسول الله إلى الكفار يفتنونني عن ديني ، ولا صبر لي ، وحال النساء في الضعف ما قد علمت ؟! إن هناك معاهدة تنص على رد كل من أسلم من مكة وهاجر إلى المدينة من الرجال والنساء .. وينزل القرآن ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ فكان يقول : « والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام ! ما خرجتن لزوج ولا مال . فإذا قلن ذلك لم يرجعن إلى الكفار ! » .



(١) الإصابة : (ج ٨ ص ٢٧٥) .

٨ - خنساء بنت خدام

وضع الإسلام المرأة حيث ينبغي فهي ربة البيت والقائمة بأمره ،
والمستولة عنه .

يعاونها الرجل فيه ، وتعاونونه هي فيما سواه ..
أما حريتها فتتجلى في حرية الزواج .. وحرية إظهار رأيها .. وذلك شأنها
وحقها ، وليس لأحد أن يغصبها فيه رأيا ، أو يعدّو إذنها . وحريتها فيه أبعد
مدى ، وأتم شأنًا من الرجل .

فهو إذا عقد عليها ثم لم يرضها فتركها قبل أن يبنى بها ، نزل عن نصف
مهرها لها .

وإن تركها بعد ذلك فلها المهر كاملا ، وليس له أن يقول : هي دوني
نسبا أو منزلة ، فكل النساء أكفاء للرجال ، وليس كل الرجال أكفاء للمرأة .
أما هي فلها أن تفصم عقدة الزواج إذا خدعت فيه أو أكرهت عليه ،
وليس لامرئ أن يقودها قسرا إلى من لا تريد ، فلقد فصم الرسول ﷺ
زواج « خنساء بنت خدام الأنصارية » ، لأن أباه زوجها وهي كارهة !
« وخنساء بنت خدام » هي من بنى عمرو بن عوف بن الأوس . لقيت
النبي ﷺ عند مقدمه إلى المدينة وهي صبية حذّثة ، وسمعت عنه .
وكان قد خطبها اثنان : أحدهما : « أبو لبابة بن المنذر » أحد الأبطال
الناهين من أصحاب الرسول ﷺ .

والثاني : رجل من بنى عمرو بن عوف - عشيرتها - فأثرت أبا لبابة
وآثر أبوها ابن عمها ، ثم أمضى منه زواجها غير آبه برضاها ، فأما هي فغدت

على رسول الله ﷺ فقالت :

« إن أبى قد تعدى على فزوجنى ولم يشعر بى ، فقال لها : « لا نكاح له . انكحى من شئت »^(١) فتزوجت أبا لُبابة .

واختلف المحدثون فى أمرها حين زواجها ، ففى رواية الموطأ والثورى أنها كانت بكرا ، وفى رواية البخارى وابن سعد أنها كانت أيماً وأنها قالت : يارسول الله ، إن عم ولدى أحب إلى فجعل أمرها بيدها .

ويروى شمس الأئمة السرخسى^(٢) فى كتابه المبسوط حديث « خنساء بنت خدام » على الوجه الآتى :

قالت الخنساء : إن أبى زوجنى من ابن أخيه وأنا لذلك كارهة .

فقال ﷺ : « أجيزى ما صنع أبوك » .

فقلت : مالى رغبة فيما صنع أبى ؟

فقال ﷺ : « اذهبي فلا نكاح له ، انكحى من شئت » .

فقالت : أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء

من أمور بناتهم شيء » .

قال صاحب المبسوط : ولم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالتها^(٣) .

ويقودنا الحديث عن الخنساء إلى الحديث عن « بريرة » ومن بريرة ؟

هى جارية من جوارى الحبشة ، ملكها عتبة بن أبى لهب ، وزوجها عبداً من عبيد المغيرة ، ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها .

فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشتريتها وأعتقتها . فقال لها الرسول

ﷺ : « ملكت نفسك فاختارى » .

(١) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٨ والإصابة ج ٨ ص ٦٥ .

(٢) شمس الأئمة السرخسى أحد أئمة الحنفية وأعلام القضاة ، وكتاب المبسوط من أفضل كتب التشريع الإسلامى وأحفلها ، يقع فى عشرين مجلداً . ومن عجب أمره أنه أملاه وهو رهين السجن بأوزجند . وأوزجند : بلد من بلاد فرغانة فى أقصى حدود الدولة الإسلامية إلى الشرق والشمال . وكانت وفاته سنة ٤٨٣ رجه الله .

(٣) المبسوط ج ٥ ص ٢ .

وكان زوجها يمشى خلفها ويكي ، وهي تأباه . فقال النبي ﷺ لأصحابه :

« ألا تعجبون من شدة حبه لها ، وبغضها له ! » ثم قال لها : « اتقي الله ، فإنه زوجك ، وأبو ولدك » .

فقلت : أتأمرني ؟!

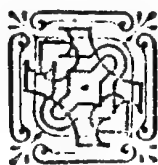
فقال لها : « إنما أنا شافع » . فقلت : إذا فلا حاجة لي فيه ^(١) .
فهل يعجب الناس بعد ذلك أن يقف فتيات العرب دون عسف آبائهن وأوليائهن ؟!

كم من الجرائم ترتكب بسبب تجاهل رأى البنات وتزويجهن ممن لا يدانين في طبع ، ولا يواتهن في خلق جريا وراء المادة وطمعا فيما عند الزوج من مال !!

ألا فليذكر الآباء ما تعانيه البنات من آلام نفسية وجسمية . هذه فتاة حدثت زوجها أبوها بغير إذنها تكتب إلى أبيها قائلة :

أَيَا أَبَتَا غَيَّيْتُ وَابْتَلَيْتِي وَصَيَّرْتِ نَفْسِي فِي يَدٍ مِنْ يَهِينِهَا
أَيَا أَبَتَا لَوْلَا التَّخَرُّجُ قَدْ دَعَا عَلَيْكَ مُجَاباً دَعْوَةً يَسْتَدِينُهَا
وقالت أخرى أثر أبوها ابن عمها :

أَيَا عَجَبًا لِلْخُودِ ^(٢) يَجْرِي وَشَاحَهَا تُزْفُ إِلَى شَيْخٍ مِنَ الْقَوْمِ تَنْبَالٍ
دَعَاها إِلَيْهِ أَنَّهُ ذُو قَرَابَةِ فَوَيْلَ الْغَوَايِ مِنْ بَنَى الْعَمِّ وَالْحَالِ
وإليك قصة « بريرة » كما روتها كتب الأعلام والتراجم والسير :



(١) البسوط ج ٥ ص ٩٩ .

(٢) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . القاموس المحيط .

٦ - بريدة

مولاة عائشة رضى الله عنها

يروى ابن سعد في طبقاته : أن زوج بريدة كان عبدا أسود يسمى « مُغِيثًا »^(١) فقضى فيه ﷺ أربع قضيات :

إن موالها اشترطوا الولاء ، فقضى رسول الله ﷺ : « أن الولاء لمن أعقق » وخيَّرت ، فاخترت نفسها .

فأمرها الرسول ﷺ أن تعتد .

فكنت أراه - يعنى زوجها - يتبعها في سكك المدينة يعصر عينيه عليها .

قال : وتُصَدِّق عليها بصدقة ، فأهدت منها إلى عائشة ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « هو عليها صدقة ، ولنا هدية » .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فإنه يصبح من المناسب بعد ذكر ما كان من أمر تلك « المجادلة في زواجها » أن نذكر ما كان من أمر بريدة مع زوجها « مغيث » ، فقد كان لها أيضا رأيها ، ولم تتنازل عنه أمام شفاعة الشافعين !

يروى ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ خير « بريدة » فكلّمها رسول الله ﷺ فيه ، فقالت : يا رسول الله ، أشيء واجب علىّ ؟ قال : لا . إنما أشفّع له ! قالت : فلا حاجة لى فيه .

وهكذا تقررت حرية المرأة في أمر نفسها .. حرية تكفل للبيت النعيم .. وتوفر للمرأة الهناءة .. أى سماحة في هذه الشفاعة ؟!

(١) يقول ابن حجر : قصتها في الصحيحين ، وفيها عن عائشة : « كانت في بريدة ثلاث سنن .. الحديث . وقد جمع بعض الأئمة فوائد هذا الحديث فزادت على الثلاثة . ولخصتها في فتح الباري .

وأى سماحة فى تقبل ردها ؟

وأى قرار خطير ذلك الذى تم اتخاذه بأناة حين اعترف بحق القلب فى الاختيار ، وقدمه على الشفاعة ، وإن كانت شفاعة لا ترد !!

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله ، أعطيت المثل والقذوة !
ألا ليت أولياء الأمور يعون هذا الدرس ! وتشتاق النفس إلى معرفة مزيد
عن بريرة .. لقد كانت تجارية حبشية يملكها عقبة بن أبى لهب فزوجها عبدا
من عبيده يسمى « مغيثا » على غير رغبة منها !!

فكانت تضيق به ، وتترم منه ، ولكنها مملوكة ، وأمرها ليس بيدها .
فلما علمت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - بما تعانيه
« بريرة » فى هذا الزواج اشترتها وأعتقتها ، وأصبح من حقها فسخ عقد
الزواج ، أو إقراره بعد أن نالت حريتها !! لكن بريرة تختار الفسخ ، بعد أن
قال لها رسول الله ﷺ : « ملكك نفسك فاخترى » !

فاختارت أن تنجو بنفسها من هذا الزواج الذى لا سعادة فيه ، فكان
زوجها بعد الفراق يمشى خلفها ويبكى ، ويسترضيها فلا ترضى عنه !
وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً !!

رآه رسول الله ﷺ مرة - وتلك حاله - فقال : « ألا تعجبون من شدة
حبه لها ، وبغضها له ، ؟ »

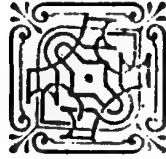
ثم قال لها النبى ﷺ : « اتقى الله ، فإنه زوجك وأبو ولدك » .
فقالت : أتأمرنى يا رسول الله ؟

فقال : « لا .. إنما أنا شافع » .

فقالت : « إذن ؟ فلا حاجة لى فيه » . [أخرجه الخمسة إلا مسلماً]
ويروى عبد الملك بن مروان عنها حديثا دار بينه وبينها فيقول : كنت
أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لى :

يا عبد الملك ؛ إنى أرى فيك خصالا ، وإنك لخليق أن تلى هذا الأمر ،
فإن وُلِّيْتَه ؛ فاحذر الدماء ؛! إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء مِخْجَمَةٍ من دم يريقه من مسلم بغير حق »^(١).



(١) يقول ابن حجر في الإصابة : وذكرها أبو عمر من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه أن عبد الملك بن مروان قال : كنت أجالس بُرَيْرة ... الخ .

رابعاً

المرأة المسلمة أختاً

- صفية بنت عبد المطلب .
[أخت الحمزة أسد الله]
- فاطمة بنت الخطاب .
[أخت الفاروق عمر]
- فاطمة بنت الوليد .
[أخت سيف الله خالد]
- سقانة بنت حاتم الطائي .
[أخت عدي بن حاتم]
- الفارعة بنت أبي الصلت .
[أخت أمية بن أبي الصلت]
- فاطمة بنت عتبة بن ربيعة .
[أخت هند بنت عتبة]

أخوات مثاليات



❖ الأخت المثالية

نراها تسعى إلى توحيد الصف ، والعمل على الثام الشمل كلما دب الخلاف .

وهى التى تسعى إلى تشجيع الأبطال ، وشحذ الهمم .. وتسعى إلى حمل السلاح عندما يدعو الداعى حَتَّى على الجهاد !

وقد بلغ من رجاحة عقلها ، وقوة شخصيتها أن يتوقف تدبير الأمور ووضع الخطط على رأيها ومشورتها .

وهى حاملة مشعل النور والهداية لمن حولها وهى الصابرة المحتسبة التى تقدم فى سبيل الله كل مُرتخصٍ وغالٍ راضية بما ينالها فى سبيل الله ، ورفع راية الحق .

وإليك نماذج للأخوات المسلمات اللاتى حملن الراية وكن حول الرسول ﷺ .



١ - طفية بنت عبد المطلب

أخت الحمزة

عمة الرسول ﷺ .. وأم الزبير بن العوام ..
وشقيقة « حمزة أسد الله » عم النبي ﷺ وحبيبه .
أسلمت مع الرعيل الأول من آمن بالنبي الكريم ، وهاجرت فيمن هاجر
إلى يثرب .

الصابرة المحتسبة :

قل في نساء العرب من تجاريتها كرم منبت أو كرم فرع ! وهبها الله قوة
إيمان ، وصبراً على الشدائد ، وتضحية في سبيله ! وكانت مثلاً للأخت
الصابرة المحتسبة الراضية بقضاء الله !

ففى « غزوة أحد » عندما تخلى « الرماة » عن مواقعهم طلباً للغنائم مخالفين
بذلك أمر الرسول ﷺ أتاهم عدوهم من خلفهم .

وكانت « هند بنت عتبة » زوجة أبى سفيان ، وأم الخليفة معاوية من بعد !
قد خرجت مع جيش المشركين لتشار لأبيها وعمها اللذين قتلها حمزة في غزوة
« بدر » .

وراحت تغرى عبدها « وحشياً » إن هو تربص لحمزة وقتله فله من المال
ما يشتهى .. وكان ما أرادت « هند » فقد رمى « وحشياً » حمزة برمح كما
يفعل الأحباش فخر حمزة صريعاً !!

وجرى وحشى إلى مولاته التى كانت ترقص فى رهط من عقائل قريش
وهن يضربن لها بالدفوف تحميساً لرجال قريش ..
فأسرعت معه وقد حمل البشرى إليها ، وراحت تشق صدر الحمزة

وتنتزع كبده وتلوكه بأسنانها تشقياً وانتقاماً ومُبَالَغَةً في الثأر !
وبلغ الخبر « صفية » أخت الشهيد .. أسد الله ، فأقبلت على ساحة
الموقعة تبحث عنه ..
رآها الرسول ﷺ .. وعلم أن عمته ستواجه موقفاً صعباً إذا هي رأت
حمزة على تلك الحالة !

فقال لابنها الزبير : « أرجعها حتى لا ترى ما بأخيها » .
فذهب إليها ولدها وقال لها في صوت هادئ حزين :
- أئى أُمى ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى !
فقال من فورها في هدوء وثقة :
- ولم ؟ فقد بلغنى أنه مُثِّلَ بأخى ؛ وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان
من ذلك ، وَلأَصْبِرَنَّ صبراً جميلاً ، وَلأَحْتَسِبَنَّ إن شاء الله !
وعاد الزبير يُخبر الرسول ﷺ بما هي عليه من صبر وثبات ويحمل مقالتها
إلى رسول الله ﷺ .

فقال له الرسول : « خَلِّ سَبِيلَهَا » .
وتقف صفية في تجلد وإباء ، تُلقى على الشهيد نظرة وداع وهي تقول :
« عليك صلاة الله يا أبا عمار ، وغفر لك ، نحن قوم عادتنا القتل والشهادة !!
لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. حسبي الله ونعم
الوكيل .. وغفر الله لك ولى وجزاك جزاء عباده المخلصين » .
وتمر الأيام ويظل ثباتها « يوم أحد » مثلاً عالياً في الصبر والجلد .
إن حياة صفية كلها دروس ..

بطولة المرأة وبطولة الرجل :

ففى غزوة « الخندق » كانت مع النساء والصبيان في حصنٍ عليه « حسان
ابن ثابت » شاعر الرسول ﷺ ..
إن الموقف في « المدينة » خطير جداً فقد حوصرت من كل جانب ..
ويهود بنى قريظة قد خانوا العهد .. وأصبحت المدينة مهددة من الداخل

والخارج ..

وهنا رأت صفية « يهودياً » يطوف بالحصن .. ويمر بالخندق فقالت
لحسان :

يا حسان ، هذا اليهودى يطوف بالحصن .. ولا آمنه أن يدلّ اليهود الذين
من ورائنا على عوراتنا !!
تُرى ماذا فعل حسان ؟

كان « حسان » يخاف المعارك .. ويفر من المواجهة .. فقال : ليغفر الله
لك يا ابنة عبد المطلب !

والله لقد عرفت قديما ما أنا بصاحب هذا الأمر ، ومالى عليه طاقة !
إن نساء الرسول من أهل بيت صفية فى خطر .. فكيف تسكت ؟!
لقد أخذت عمودا من أعمدة الخيام ، وخرجت من الحصن فهجمت
على اليهودى فضربته بالعمود على ناصية رأسه فخر على الأرض ..
وعندئذ عاجلته بضربات متلاحقة حتى أجهزت عليه .. ثم رجعت إلى
الحصن وألقت العمود من يدها !! ثم عادت إلى « حسان » وقالت له :
- يا حسان ! ها قد قتلت اليهودى .. انزل فاسلبه^(١)، فإنه لم يمنعنى
من ذلك إلا أنه رجل وأنا امرأة !

فقال الشاعر : والله ماى حاجة إلى سلبه يا ابنة عبد المطلب !
لقد كانت صفية حول الرسول فى خدمة الدعوة بقوة التجلّد وجمال
الصبر والنجدة وسداد الرأى ، والدفاع عن الحرمات !
لقد شاءت الأقدار أن تعرض بطولة المرأة وبطولة الرجل فى كفتى ميزان
فى حادثة واحدة ، وفى موقف واحد تخلى الرجل فيه عن الشجاعة التى لا
يُنتظر صدورها إلا من مثله ، ونزل راضيا عن موقف البطل ليركه لامرأة
كان يُنتظر منها أن تكون دونه شجاعة .

(١) السلب : ما مع القتل من مال وسلاح . ومن المبادئ التى سادت القتال بين المسلمين وأعدائهم
أن ومن قتل قتيلا فله سلبه .

وحاشا لا يطأخر الطرح لحظة عن أن يسجل للمرأة شجاعته وإقدامها
وبساتها في موطن عتقل عنه الرجل ! طفتح أي كتاب من كتب التاريخ
أو السيرة أو الأعيان أو المتنبي ، أو التراجم والطبقات فإنا لاشك واجتهدون
قصة صفية بنت عبد المطلب مع الجاسوس اليهودي الذي راح يتجسس لينال
عورة من المسلمين ..

إن ابن هشام يسجل حادثة صفية مع اليهودي نقلا عن المؤرخ ابن
إسحق .

ويحفظ التاريخ لصفية هذا المقام لتأسى به المرأة على مر السنين والأعوام !
وما يزال جواسيس اليهود في كل مكان يترصدون بنا ، ويُعدون العدة
لإقامة دولتهم على أشلاء ضحاياها ، فهل يعيد التاريخ نفسه لنجد بين صفوف
فسائنا من تتصدى لأولئك الجواسيس ؟!

نريد أن نكون هناك في كل موقع « صفية » يسجل التاريخ شجاعته
 وإقدامها وبساتها !!

إن تاريخ « صفية » ينادى كل عربي وعربية افتحوا عيونكم ، واحذروا
المخاطر من حولكم !



٢- فاطمة بنت الخطاب بن نفيل

القرشية أخت الفاروق عمر

كانت من المبايعات الأوليات .

أسلمت قبل أخيها .. وكانت تحفى إسلامها منه .. عاشت في خدمة الدعوة .. ولقيت ما لقيت في سبيلها ! كان « حَبَّاب بن الأَرْت » يتردد عليها يُقرئها القرآن .. وكان زوجها « سعيد بن زيد » يحفظ معها أولاً بأول ما يتلى عليهما من آيات الله ! ويذكر الرواة ما كان من أمر إسلام أخيها « عمر ابن الخطاب » فهو حتى تلك اللحظة كان ما يزال على كفره حتى إنه ليخرج متقلدا سيفه يريد أن يقتل النبي ﷺ .

وعندئذ يلقاه رجل من « بنى زهرة » ويسأله عن وجهته ؛ فيخبره بما عزم عليه من قتل « محمد » ﷺ . لكن الرجل يحذره بطش بنى هاشم وبنى زهرة إن هُو أقدم على فعلته ! ويُلقَّته إلى أمرٍ عجيب أولى به أن يفكر فيه ! ويتساءل « عمر » عن ذلك الأمر العجيب ..؛ فيجيبه الرجل : أجدُر بك أن تذهب إلى أختك وزوجها فقد تركا دينهما وآمنا برب محمد !

ويُغيّر عُمَر وجهته .. ويذهب إلى بيت أخته وزوجها .. وعندهما « حَبَّاب بن الأَرْت » .. خباب يتوارى في البيت عندما سمع صوت عمر ! « عمر » يتساءل عن ذلك الصوت الذى سمعه ...! « فاطمة » تسرع إلى الصحيفة وفيها آيات من كتاب الله فتخفيها من عمر وتضعها تحت فخذها ! وعندئذ يقولان له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله ، لقد أُخبرْتُ أنكما تابعتُمَا محمدا في دينه وبطشَ بزوج أختي « سعيد » فقامت فاطمة إليه لتكفّه عنه فضربها فشجّها .. حتى سال دمها على وجهها .. وكانت المفاجأة إعلان « فاطمة » و« سعيد » أمام

« عمر » أنهما قد أسلما وآمنا بالله ورسوله ، فليفعل ما بدا له !
ورأى عمر الدم على وجه أخته فتملكه الندم وقال لها : أعطيتني تلك
الصحيفة التي سمعتمكم تقرأونها لأنظر ما هذا الذي جاء به محمد !
فقالت فاطمة : إنا نخشاك عليها !

قال عمر : لا تخافي ، وحلف لها بآلهته ليردَّنها إليها إذا قرأها !
فلما قال ذلك طمعت في إسلامه .. وراحت تقول له : يا أخى إنك
نجس على شركك ، وهذه الصحيفة لا يمسُّها إلا المطهرون .. قم واغتسل
أولا قبل أن تمسها ! فاغتسل عمر .. وأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾
[طه : ١ - ٨]

فلما قرأ صدرأ منها قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه !
كل ذلك و« خباب بن الأرت » محتبىء خائف بطش عمر ! فلما سمع
منه ذلك قال له : يا عمر ؛ والله إني لأرجو أن يكونَ الله قد خصَّك بدعوة
نبيِّه ؛ فأني سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن
هشام ، أو بعمر بن الخطاب » .

فأله الله يا عمر !

فقال له عمر عند ذلك : فذلّنى يا خَبَاب على محمد حتى آتية فأسلم ،
فقال له خباب :

هو في بيت عند « الصفا » معه فيه نفر من أصحابه . فأخذ عمر سيفه
فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ،
فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل
الباب فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع ! فقال :
يا رسول الله ؛ هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد
المطلب : فأذن له : فإن كان جاء يريد خيراً بذلتناه له ، وإن كان يريد شراً
قتلناه بسيفه .. فقال رسول الله ﷺ : « ائذن له ! » .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ
بحُجْزته أو بمَجْمَع رداءه ، ثم جَبَذه جبذةً شديدة وقال : « ما جاء بك يا بن

الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة ! » .

فقال عمر : يا رسول الله ، جئتُك لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !

فكبر الرسول ﷺ تكبيرة عَرَفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم ، ففارق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم ، وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم « عمر » مع إسلام « حمزة » .

وعرفوا . أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصففون بهما من عدوهم .

وعاشت فاطمة لترى أخاها « عمر » خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين .

وذكر ابن الجوزي أنها روت عن رسول الله ﷺ .

هذه هى فاطمة بنت الخطاب أخت عمر سبقته إلى الإسلام فكانت من وراء إسلامه .

وأراك تقولين : حقا وراء كل عظيم امرأة عظيمة^(١) !



(١) المراجع : سورة ابن هشام ، المحصى لابن الجوزي ، طبقات ابن سعد ، الصواعق المحرقة لابن حجر ، الإصابة لابن حجر ، الاستيعاب لابن عبد البر ، المستدرک للحاکم .

٣- فاطمة بنت الوليد بن المغيرة

أخت خالد بن الوليد

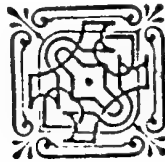
أسلمت يوم الفتح ، وبايعت ؛ وهى زوج الحارث بن هشام . قال ابن عساکر :

فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد لها صحبة . وخرجت مع زوجها الحارث إلى الشام ، واستشارها خالد أخوها فى بعض أمره وهو الذى دَوَّخَ الفرس والروم !

فعندما جاء عزل أخيها من عمر بن الخطاب أقبل عليها يستشيرها !! فقالت له رأيها .. فقبل خالد رأسها وهو يقول لها : صدقتِ والله ! فتم على أمره ، وأبى أن يكذب نفسه !

روت عن النبى ﷺ حديث الإزار الذى أخرجه العقيلي « أنها كانت بالشام تلبس الجِباب من ثيابِ الحَرِّ ، ثم تأتزر ؛ فقبل لها : ما يغنيك عن هذا الإزار ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر بالإزار . وهكذا تكون الأخوة الصادقة .. تبادل النصيح والمشورة .

فخالد بن الوليد سيف الله المسلول يلجأ إلى أخته فاطمة ليأخذ رأيها فى أخطر ما واجهه فى حياته ، وفاطمة تصدقه المشورة والنصيحة . وهكذا تضرب المثل فى دنيا الأخوات والإخوة .



٤ - سفانة بنت حاتم الطائي

أخت عدي بن حاتم

نموذج من نماذج الفصاحة والبلاغة والحسن والجود والكرم ، ومكارم الأخلاق ، وكيف لا .

وأبوها حاتم الطائي الذي يضرب بكرمه المثل ؟! ومن شابه أباه فما ظلم !

قال لها أبوها ذات يوم :

يا بُنَيَّة ، إن الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإذا أن أعطى وتُمسكى ، وإما أن أُمسك وتعطى ؛ فإنه لا يبقى على هذا شيء !

قالت : فلا تتجاوز .

فقاسمها ماله وتبائنا .

وتتجلى فصاحتها عندما وقعت أسيرة فراحت تعرض قضيتها وتعرف بنفسها .

ذكرها ابن إسحاق في المغازي قال :

أصابته خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيء ، فقدمت بها على رسول الله ﷺ فقامت إليه - وكانت امرأة جزلة^(١) - فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد !

فقال : « ومن وافدك ؟ » .

قالت : عدي بن حاتم قال :

(*) الأغاني ص ٩٣ ج ١٦ ، وإنسان العيون ص ٢٨٥ ج ٢ ، وغرر الحقائق ص ١٢ .

(١) يقال : جزل فلان أى : صار ذا رأي جيد قوى محكم .

« الفَارّ من الله ورسوله ! » .

ومضى حتى مرّ ثلاثاً .

قالت : فأشار إليّ رجل من خلفه : أن قومي فكلّميه ، قالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ عَلَيَّ مِنَ الله عليك !
قال : « قد فعلت ؛ فلا تعجل حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم أذنيني » .

قالت : وكساني رسول الله ﷺ ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت حتى قدمت على أخي ، فقال : ما ترين في هذا الرجل ؟ فقلت : أرى أن تلحق به .

وأورد الخرائطي قصتها في مكارم الأخلاق .
ويُروى أنها قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلّي عني ، فلا تشمت بي أحياء العرب ؛ فإنني بنت سيد قومي !
كان أنى يفك العاني (الأسير) ..

ويحمي الذمار (العهد) ..

ويقرى الضيف (يطعمه) ..

ويشبع الجائع ..

ويفرج عن المكروب ..

ويُطعم الطعام ..

ويُقشّي السلام ..

ولم يرد طالب حاجة قط ..

أنا بنت حاتم الطائي ..

فقال لها رسول الله ﷺ : « يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً ، لترحمنا عليه ، تحلّوا عنها ؛ فإن أباهما كان يحب مكارم

الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » ، ثم أسلمت وحسن إسلامها* .

وامتن عليها بقومها ، فأطلقهم تكريماً لها !

فاستأذنته في الدعاء له ، فأذن لها ، وقال لأصحابه : « اسمعوا وغوا » !

فقالت : أصاب الله ببرك مواعقه !

ولا جعل لك إلى لثيم حاجة !

ولا سلب نعمة عن كريم قومٍ إلا جعلك سبياً في ردها .

سفانة من وراء إسلام أخيها :

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدى ، وهو بدومة الجندل ؛ فقالت له :

يا أخي ، إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله ، فإنني قد رأيت هدياً ورأياً
سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصلاً تعجبنى :

رأيت به يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ،
وما رأيت أجود منه ولا أكرم ؛ فإن يك نبياً فلينلك فضله ، وإن يكن ملكاً
فلن تزال في عز ملكه !

فقال « عدى » : إن هذا الرأي والله !

وقدّم « عدى » إلى رسول الله ﷺ فأسلم وأسلمت « سفانة » وسماها

ابن هشام : « حازمة » . [سيرة ابن هشام]



(*) الإصابة . الأغاني - تاريخ ابن عساکر - تاريخ الطبری . ذيل الأملی للقالی . الروض الأنف
للسهیل .

الفارعة بنت أبي الصلت الثقفية

أخت أمية بن أبي الصلت

كل من عاصروها شهدوا لها بأنها كانت ذات لبٍّ وعفافٍ وحسن
وجمال .

وكان لأخيها منزله في الجاهلية فهو أمية بن أبي الصلت الشاعر المشهور .
قَدِمْتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد فتح الطائف ، فقال
لها^(١) : « تحفظين من شعر أخيك ؟ » .
فأنشدته أبياتاً !!

فقال النبي ﷺ : « كان مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلك
منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوين » .

وفي الإصابة أن النبي ﷺ قال : « آمن شعره وكفر قلبه » ، فنزلت :
﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها .. ﴾

[الآية ١٧٥ من سورة الأعراف]

روى عنها ابن عباس .

لم يمنعها عدم تلبية أخيها نداء الإسلام من أن تُقَدِّم على الرسول ﷺ
وتعلن إسلامها ، وتتخذ قرارها بنفسها .

وهكذا ينبغي أن تكون المرأة وبخاصة في القضايا المصرية فإنه لا تزر
وزارة وزر أخرى !

(١) أبو عمر في الاستيعاب .

٦ . فاطمة بنت عتبة بن ربيعة

أخت هند بنت عتبة

بايعت النبي ﷺ يوم الفتح مع أختها هند بنت عتبة . وكانت من ربات
الفصاحة والبلاغة . فحين أسلمت . جاءت رسول الله ﷺ وقالت :
يا رسول الله ، قد كنت وما في الأرض قبة أحب أن تهدم من قبتيك !
ولاني اليوم وما في الأرض قبة أحب إلى بقاء من قبتيك !
فقال رسول الله ﷺ : « أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكون أحب
إليه من نفسه »^(١)!

وهي التي كانت قبل إسلامها تعادى « بنى هاشم » وتقول : يا بنى
هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً !!

أين أوى ؟

أين عسى ؟

أين أخى ؟

وتزوجت « فاطمة » « عقيل بن أبى طالب » وكانت ذات مال كثير^(٢)!

(١) قال ابن حجر في الإصابة : أسنده ابن منده ، من طريق ابى بكر بن عياش ، عن محمد بن
عجلان ، عن أمه ، عن فاطمة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض خباء أحب
إلى أن يذلم الله من أهل خيائك .. الحديث .

(٢) المراجع : طبقات ابن سعد ، أسد الغابة لابن كثير ، البيان والتبيين للجاحظ .

خامساً

المرأة المسلمة مبايعة ووافدة

- أميمة بنت رقيقة .
- معاذة جارية عبد الله بن أبي بن سلول .
- هند بنت عتبة
- أسماء بنت يزيد بن السكن .
- حواء بنت يزيد بن السكن .
- أم رعلة القشيرية .

مبايعات صادقات

❖ المرأة مبايعة

أسرع النساء إلى رسول الله ﷺ يبايعنه على السمع والطاعة ، وبايعهن الرسول ﷺ على الإيمان .

وقد بايع الرسول ﷺ الرجال على مثل ما بايع عليه النساء .

فمن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

كان رسول الله ﷺ يُبايع النساء بالكلام بهذه الآية : ﴿ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ

بِالله شيئاً ... ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢]

وما مَسَّتْ يَدُ رسول الله ﷺ يَدَ امرأة قطّ ..

وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن . يقول : « انطلقن

فقد بايعتكن ، لا والله ما مسّت يَدُه يد امرأة قطّ غير أنه بايعهن بالكلام ،

[أخرجه الشيخان والترمذى]

وإليك مزيداً من تفصيل ماجاء بشأن مبايعة النساء وأركانها وما نزل فيها

لتجددى بيعتك مع الله قولاً وعملاً وسلوكاً ..



✧ امتحان القَبُول للمهاجرات المبايعات

يقول الله تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ... ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢]

أخرج البخارى والترمذى وغيرهما عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية إلى قوله : ﴿ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها النبى ﷺ « قد بايعتكم » كلاماً ، ولا والله ما مسّت يده يد امرأة قط من المبايعات ، ما بايَعْنَّ إِلَّا بقوله : « قد بايعتكم على ذلك » ﴿ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً ﴾ كان هذا يوم فتح مكة أتت يبايعنه ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ كما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات .

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أى : لا يُلْحِقْنَ بأزواجهن ولداً ليس منهم .

قال ابن عباس : كانت الحرة تولد لها الجارية (الأنثى) فتجعل مكانها غلاماً .

﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ أى : فى كل ما هو طاعة لله وإحسان إلى الناس ، وكل ما نهى عنه الشرع .

قال المقاتلان^(١) : عَنَى بالمعروف : النهى عن التَّوْح ، وتمزيق الثياب ، وجرّ الشعر ، وشقّ الجيوب ، وتحمّش الوجوه ، والدعاء بالويل . ومعنى القرآن أوسع مما قالاه .

أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه ، عن أميمة بنت

(١) هما : مقاتل بن حبان ، ومقاتل بن سليمان الأزدي المعروف سنة ١٥٠ هـ .

رقية قالت : أتيت النبي ﷺ في نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن :
ألا نشرك بالله شيئاً .. حتى بلغ : ولا يعصينك في معروف فقال : « فيما
استطعن وأطقتن » ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، يارسول الله ،
ألا تصافحنا ؟ قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي
لامرأة واحدة » .

﴿ فبايعهن ﴾ أى : التزم لمن ما وعدناهم به على ذلك من إعطاء الثواب
في نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعات ، فهي مبايعة لغوية .

قال ابن الجوزي : وجلة من أحصى من المبايعات إذ ذاك أربعمائة وسبع
وخمسون امرأة ، ولم يضاف في البيعة امرأة ، وإنما بايعهن بالكلام بهذه
الآية .

وهذه البيعة الثابتة بالسنة في دين الإسلام فمن أنكرها فقد أنكر القرآن .
وهكذا ثبت ذلك في الرجال ، وهي على أنواع : بيعة الجهاد ، وبيعة
ترك السؤال ، وبيعة قبول الإسلام ؛ وبيعة عدم الفرار من الزحف .
وحج النبي ﷺ ومعه مائة ألف وأربعة وعشرون نفساً كلهم من
المبايعين^(١) .

وإليك نماذج لأولئك المبايعات الصادقات ..



(١) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة .

1 - أميمة بنت رقيقة

روت عن النبي ﷺ . وكانت من المبايعات .

وحديثها في الترمذى وغيره أنها قالت : بايعت النبي ﷺ في نسوة ، فقال لنا : « فيما استطعن وأطقتن » .

قلنا : الله ورسوله أرحم منا بأنفسنا !

ويقول ابن حجر في الإصابة : وأخرج مالك الحديث مطولا عن ابن المنكدر ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ولفظه :

« أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار ، فقلنا : نبايعك يا رسول الله ، على ألا نُشرك بالله شيئا .. ولا نسرق .. ولا نزنى .. ولا نقتل أولادنا .. ولا نأتى بهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا .. ولا نعصيك في معروف » .

فقال ﷺ : « فيما استطعن وأطقتن » .

فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

هَلَمْ نبايعك يا رسول الله . (قال سفيان : يعنين : صافحنا) . فقال : « إلى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة » [أخرجه مالك والترمذى والنسائى]

نقلها معاوية إلى الشام وبني لها دارا .

وهكذا تظل أميمة بنت رقيقة تذكر كل مسلمة بـ « بنود » البيعة التي تلتزم بتنفيذها كل من اتخذت الإسلام لها ديناً فيما استطاعت وأطاعت .

إنها ستة مبادئ هي خلاصة الإسلام في بساطته وسمو أهدافه .

فهل نعيد ترتيب الأوراق بعد وقفة متأنية مع النفس لنقوم من جديد
بتجديد البيعة لله ولرسوله على هذه المبادئ؟!
وللشيخين وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها : « ما مَنَّ رسول الله
ﷺ يد امرأة قط إلا أن يأخذ عليها ، فإذا أخذ عليها فأعطته قال : « اذهبى
فقد بايعتك » .



٢ - مهانة جارية عبد الله

ابن أبي بن سلول

حياتها تطيق عمل لبنود المعاهدة والمبايعة على الرغم من أنها كانت أمة !
وتفصيل ذلك أنها عندما أسلمت وبايعت النبي ﷺ كانت عند عبد
الله بن أبي بن سلول .

وكان عنده أسير فكان عبد الله يضربها لتمكنه من نفسها رجاء أن تحبل
فيأخذ في ذلك فداء وهو العَرَض الذي قال الله عز وجل :

[النور : ٣٣] ﴿ لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

وكانت « مُعَاذَة » تَأبَى عليه وهي مسلمة !

وقال الزهري : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله :

[النور : ٣٣] ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ﴾

ثم إنها أعتقت ، وتزوجت بعد ذلك سهل بن قرطة .

[أسد الغابة لابن الأثير]

لقد ملأ الإيمان قلبها ، فصانت نفسها عن الحرام ، ولم يفلح معها الإرغام
وهي الأمة المملوكة ، ولكنه الإباء .. إباء الإسلام ، وسوف تظل مثلاً في
العفة والتصوّف على مدى الأيام .

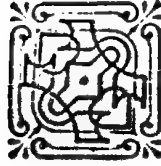
نعم ستظل مثلاً للمرأة المسلمة المستقيمة في البيئة الفاسدة المناقعة
الكافرة .

إنها تنضم للركب المزمّن ، وتعلن كلمة التوحيد ، وتتحمل الأذى
والعذاب صابرة محتسبة ، وتثور على سيدها في سبيل الطهارة والعفة .

إن عفافها وطهرها نموذج يحتذى .

إن المهمة الحبيثة لشياطين الإنس في غصننا دعوة المرأة إلى تجاوز
المحظور .. إلى الفتنة .. إلى الزينة المحرمة .. إلى اللبس العارى .. إلى اللباس
المثير ؛ ومن ثم إلى تهيج العواطف ، وتلوّث الفروج ! إن حفظ الفرج هو
حفظه من كل ما يدعو إلى إثارته وإثارة الناس نحوه .. إنه أكبر من ترك الزنا
بل هو حفظه عن كل مثيراته .

ويذكر القرآن الكريم أن السيدة مريم عندما أحصنت فرجها كانت أهلاً
لأن تحمل كلمة الله !



٣ - هند بنت عتبة

وصفها ابنها معاوية بن أبي سفيان بقوله : « إنها في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير » .

إنها بنت زعيم في ناديتها هو عتبة بن ربيعة .

وزوجة زعيم في قريش هو أبو سفيان بن حرب .

وأم زعيم في بني أمية هو : معاوية بن أبي سفيان .

وأما سيدة من سيدات قومها هي صفية بنت أمية بن حارثة .

ومن أجل هذا يقول عنها الإمام ابن عبد البر :

« كانت امرأة لها نفسٌ وأنفة » .

وكما كان عمر - رضى الله عنه - شديدا على المسلمين قبل إسلامه ، كذلك كانت هند حتى أطلق عليها « آكلة الأكباد » .. وإذا كانت قوة شخصيتها قد شابتها قبل الإسلام في ظلمات الجاهلية ، فقد زانتها قوة شخصيتها في أضواء الإسلام .

وبعد أن أسلمت هند ، واستقامت على الطريق نجد أنفسنا نمر مر الكرام ونحن نقطب صفحات ماضيها يوم راحت تنأر لمقتل أخيها شيبة ، وأبيها عتبة وتحرض غلامها وحشياً على الثأر ، وتظهر من الشماتة لمصرع سيد الشهداء حمزة ما يفوق الوصف ، ويثير الغيظ والمرارة في النفس ! لكن رحمة الله وسعت كل شيء !

فقد ظلت هند على كفرها حتى تم فتح مكة ، وأسلم زوجها ..

وراحت تفكر من جديد فيما يمكن أن تصنعه !!

لقد كانت تخشى إهدار دمها نظراً لما كان منها فراحت لأول مرة تشاهد
جموع المسلمين وهم يصلون حول الكعبة عقب الفتح فتأثرت بما رأت ، وهنا
قالت : إني أريد أن أبايع محمداً !!

فقيل لها : فاذهبي برجل من قومك معك .

فذهبت إلى « عمر » فاستأذن لها ، فدخلت وهي متقبة ، والرسول ﷺ
لا يعرفها فأعلنت إسلامها .

وبإعلان كلمة الإسلام حصنت نفسها ، وعصمت دمه ، وحفظت
حياتها !!

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب : « ثم ختم الله لها بالإسلام ، فأسلمت
يوم الفتح » .

ويقول النووي في تهذيب الأسماء واللغات : « أسلمت في الفتح بعد
إسلام زوجها أبي سفيان بليلة ، وحسن إسلامها ، وأقرهما النبي ﷺ على
زواجهما » .

والذي يعني هنا تلك الصفحة المضيفة من حياتها بعد أن أسلمت ووسعتها
رحمة الله منذ أن بايعت الرسول ﷺ .

يقول الإمام الطبري : « لقد دخلت عليه متقبة متكررة بسبب ما صنعت
في حمزة ، ولأنها كانت تخاف أن يؤاخذها على ذلك . وبدأ الرسول ﷺ
يقول للنساء - وهي بينهن - : « تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً ولا
تسرقن » وهنا لم تملك هند نفسها أن قالت :

إنها كانت تحس بأن زوجها أبا سفيان بخيل ، وكانت تأخذ من ماله ما
تحتاج إليه .

وهنا عرفها الرسول ﷺ فقال : وإنك لهند بنت عتبة .

أجابت : أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف عفا الله عنك . واستمر
الرسول ﷺ في المبايعة قائلاً : « ولا تزنين » .

وسارعت هند بتعليقها الرائع تقول : وهل تزني الحرة !؟

وواصل الرسول ﷺ مبايعته قائلاً : « ولا تقتلن أولادكن » .

فعلقت هند بقولها : قد ربّيتناهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدرٍ كباراً ، فأنت وهم أعلم !

وهنا ضحك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبالغ في الضحك .
ثم قال الرسول ﷺ : « ولا تأتين بيّتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن » .

فقالت هند : والله إن إتيان البيّتان لقييح !
ثم قال الرسول ﷺ : « ولا تعصيتى في معروف » .
فعلقت هند بقولها : ما جلسنا هذا المجلس ، ونحن نريد أن نعصيك في معروف ! .

وهنا تتجلى شخصيتها القوية في الإسلام وهى تسائل وتجاوز وتستفهم وتراجع !!

ويتجلى صدقها حين عادت إلى بيتها بعد أن بايعت رسول الله ﷺ فوجدت في ركن من البيت صنما كأنها لم تلحظه منذ حين ، فأقبلت عليه مَفيضة مُحَنّقة ، كأن لها عنده ثأراً ، وتناولت قدوماً ، وجعلت تحطمه قطعة قطعة ، وهى تخاطبه بقولها : كنا منك في غرور .. كنا منك في غرور !!
لقد علمها الإسلام أن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال !

ولقد حاولت التكفير عما فعلت في جاهليتها فأسهمت في الجهاد مع المسلمين ، وقد اشتركت مع زوجها أبى سفيان في غزوة اليرموك المشهورة وأبلت بلاء حسناً .

وأعود فأذكر للقارئ الكريم تلك الصورة التى تصورها وهى تقف بين عهدين والى ذكرها ابن سعد فى طبقاته حيث قال :

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ، ونساء معها ، وأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه فتكلمت هند فقالت :

يا رسول الله ، الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه ، لتنفعنى رَجْمُكَ .

يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله ، مصدقة برسوله . ثم كشفت عن نقابها
وقالت :

أنا هند بنت عتبة .

فقال : مرحبا بك .

فقالت : والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلى من أن يذلّوا من
خبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أن يعزّوا
من خبائك !

فقال رسول الله ﷺ وزيادة .

وقرأ عليهن وبايعهن .

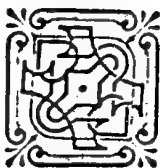
فقالت هند من يبين :

يا رسول الله ، غماسحك ؟

فقال : إني لا أصافح النساء ، إن قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة
واحدة^(١) .

وتفود هند النسوة المسلمات لصدد هجوم الروم يوم اليرموك بأعمدة الخيام
بعد أن ذاقن حلاوة الإيمان والإسلام .

وتعيش هند حتى السنة الرابعة للهجرة وعندئذ تلحق بربها رحمها الله ،
وعفا عنها .



(١) أخرجه مالك والترمذي والنسائي .

٤ - اسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

محدثه فاضلة ومجاهدة جليلة . كانت من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبوها بـ « خطيبة النساء » ، ووافدة النساء إلى رسول الله ﷺ .

وهي بنت عم معاذ بن جبل ، وكانت تكنى « أم سلمة » الأنصارية . أتت النبي ﷺ وهو في أصحابه فقالت :

يا نبي وأمي يا رسول الله !

أنا وافدة النساء إليك !

إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك .

وإنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم !

وإنكم - معشر الرجال - فضلتم علينا في الجمع والجماعات ، وعبادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله - عز وجل - وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الأجر ؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : « هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه ؟ »

فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا !!

فالتفت النبي ﷺ إليها فقال : « افهمي أيتها المرأة .. وأعلمي من خلفك

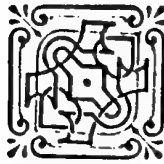
من النساء .. أن حُسْنَ تَبْعُلِ المرأةَ لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله»^(١).

فانصرفت وهي تهلل^(٢).

وروت عن النبي ﷺ ٨١ حديثا .

وروى لها أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومهاجر بن أبى مسلم ، وشهر بن حوشب .

وشهدت أسماء بنت يزيد « اليرموك » وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود خبائها وشهدت الفتح* .



(١) حسن تَبْعُلِ المرأةَ لزوجها : قيامها بواجب الزوجية . أشار إليه ابن الأثير في مادة «بَعَلَ» بقوله : «ومنه حديث أسماء الأشهلية : «إذا أحسنت تَبْعُلِ أزواجكن، الخ .

(٢) عزا الطوسى هذه القصة لأسماء بنت عبيد الأنصارية . وجعل ابن منده وأبو نعيم هذه القصة لأسماء بنت يزيد الأشهلية وقالوا : إنها غير أسماء بنت يزيد بن السكن . وأما ابن عبد البر فجعل أسماء بنت يزيد بن السكن هي الأشهلية ، وهي رسول النساء . ووافقه أبو نعيم . وأنكر على ابن منده . وجعل أحمد بن حنبل أسماء بنت يزيد بن السكن هي الأشهلية .

(٣) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى : الاستيعاب لابن عبد البر . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير . سير النبلاء للذهبي .

٥ - حواء بنت يزيد بن السكن

الإنصارية زوجة قيس بن الخطيم

نموذج رائع من نماذج الإيمان بالله ورسوله والتضحية في سبيلهما .
أسلمت وبأبعت النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة فحسن إسلامها ! ووافى زوجها « قيس بن الخطيم » الشاعر « ذا المجاز »^(١) . فأتاه الرسول ﷺ ودعاه إلى الإسلام ؛ فقال قيس : ما أحسن ما تدعو إليه ! ، وإن الذي تدعو إليه لحسن ! ولكن الحرب شغلتنى عن هذا الحديث !
فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا يزيد ، إن صاحبك « حواء » قد بلغنى أنك تسيء صحبتها . قد فارقت دينك فاتق الله واحفظنى فيها ! ولا تعرض لها ! » .

قال : نعم وكرامة !
أفعل ما أحببت .. لا أعرض لها إلا بخير !
ثم قدم قيس المدينة فقال :
يا حواء ، لقيت صاحبك محمداً فسألنى أن أحفظك فيه ، وأنا والله وإف له بما أعطيته ، فعليك بشأئك ؛ فوالله لا يتالك منى أذى أبداً .
فأظهرت حواء ما كانت تخفى من الإسلام ، فلا يعرض لها قيس بن الخطيم .

فيُكَلِّم في ذلك ، ويقال له : يا أبا يزيد ، امرأتك تتبع دين محمد : فيقول قيس : قد جعلت لمحمد أن لا أسوءها وأحفظه فيها * !

(*) في طبقات ابن سعد : بنت زيد . وفي الأغاني وأسد الغابة والإصابة « حواء بنت يزيد بن سنان » وفي الاستيعاب : حواء بنت يزيد بن السكن .

(١) سوق من أسواق مكة . مثل عكاظ ، ومجنة : كان ملتقى الشعراء والوفود .

(*) لمزيد من التفاصيل : طبقات ابن سعد ، الاستيعاب لابن عبد البر . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير .

٦ - أم رُعلة القشيرية

لها حديث أورده المستغفرى من طريق ، وأبو موسى من طريق آخر عن ابن عباس :

أن امرأة يقال لها : « أم رُعلة القشيرية » وفدت على النبي ﷺ ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة فقالت :

السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله وبركاته .

إنا ذوات الخُدُور^(١) ..

وَمَحَلَّ أَزَّر البُعُول^(٢) ..

وَمُرِّيَّاتُ الأولاد ..

ولاحظْ لنا في الجيش ..

فعلَمنا شيئاً يقربنا إلى الله - عز وجل .

فقال :

« عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغيض البصر .. وخفض

الصوت .. » .

وفيه قالت : يا رسول الله ، إني مُقَيِّنة^(٣) ، أُقَيِّن النساء وأزنيهن

(١) الخُدُور : جمع خدر ، وهو السُّتر يعد للمرأة في ناحية من البيت .

(٢) البُعُول : جمع بعول : الزوج ، والأزَّر جمع إزار ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن

يذكر ويؤنث .

(٣) مُقَيِّنة : مزينة للنساء .

لأزواجهن ، فهل هو حُوبٌ^(١) فأُتِبط عنه^(٢)!

فقال لها رسول الله ﷺ :

« يا أم رِغلة ، قَيْنين ، وزَيْنين إذا كَسَدن . »

لقد غابت حياة الرسول ﷺ ثم أقبلت في أيام الرِّدَّة بعد وفاة النبي ﷺ إلى المدينة ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وأخذت بالحسن والحسين تطوف بهما أزقة المدينة وهي تبكى بكاءً مرّاً ، ترضيه برثاء مؤلم منه :

يا دار فاطمة المعمور ساحتها هيجت لي حُزناً حُيِّت من دار !
فهاجت المدينة مأتما فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون*!
وفي قصتها دروس وعظات بالغات :

إنها تبدأ بتحية الإسلام ..

وتحدد دور النساء : ذوات الخدور .. محل أُرُز البعول .. ومرييات الأولاد ..

لكنها تأسى لعدم اشتراكها في الجيش ، وتسأل الرسول ﷺ أن يعلمها ما يعوضها عن هذه المنزلة التي يحظى بها الرجال ، ويقربها إلى الله - عز وجل - .

وخير ما يقربهن إلى الله .. ذكره آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر ..
وخفض الصوت .

ونجد في قصتها وفاء وانتهاء وولاء للبيت النبوى .. أليست نموذجاً للنساء الخيرات ؟

(١) حُوبٌ : الإثم . وقد جاء في التنزيل : «إِنَّه كَانَ حُوباً كَبِيراً» .

(٢) يُقال : بَطَّه عن الشيء : عَوَّه وبَطَّأ به . ومنه في التنزيل العزيز : «وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَطَبَّاهُمْ» .

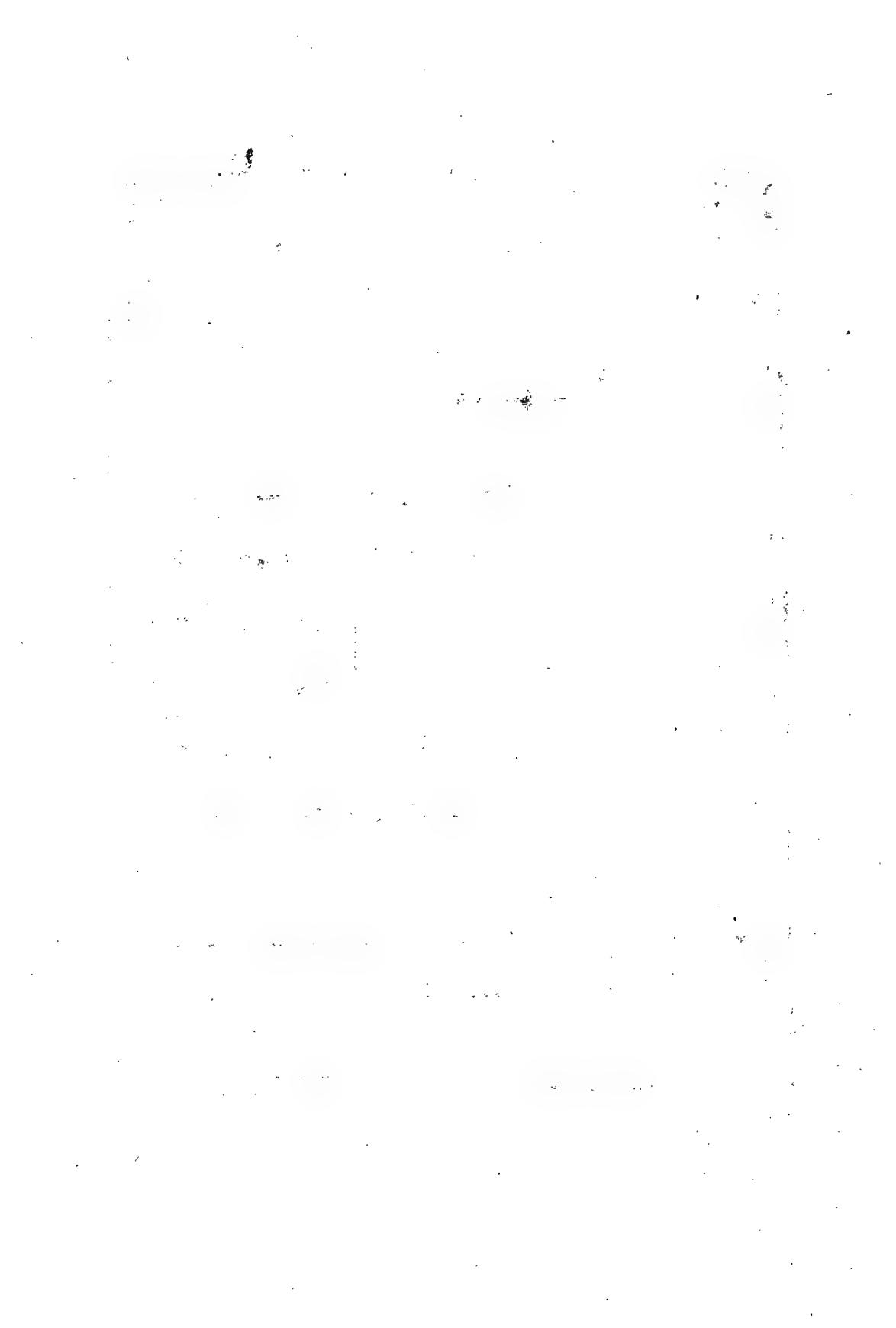
(*) أسد الغابة لابن الأثير . والإصابة لابن حجر .

سادساً

المرأة المسلمة مهاجرة

- أم سلمة - رضى الله عنها .
- أم حبيبة - رضى الله عنها .
- أسماء بنت عميس .
- ليلى بنت أبي حثمة بن حذيفة .
- الشفاء بنت عبد الله القرشية .
- فاطمة بنت قيس القرشية .

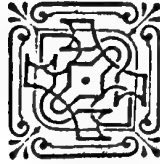
مهاجرات مضحيات



❁ ذكريات كفاح

تألفت فى تاريخ المرأة المؤمنة أسماء نساء هاجرن إلى الله ورسوله !!
وبقيت ذكريات كفاحهن ونضالهن نوراً يضيء الطريق لكل مسلمة
هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة .

وقد روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول
الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت
هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله .. ومن كانت هجرته إلى
دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(١) . [متفق عليه]
وإليك نماذج من أولئك المهاجرات المضحيات ..



(١) اتفق عليه الشيخان : البخارى ومسلم من صحابى واحد ، وهذا النوع أعلى أنواع الحديث
فى الصحة والقبول .

وكان مشايخنا يستحبون البداءة به فى الكتب تنبيها للطالب على تصحيح النية . وهو أصل عظيم
من أصول الدين ، وقاعدة كبيرة من قواعد الشرح المبين .

١ - أم سلمة

أم المؤمنين

كان أول المهاجرين : « أبو سلمة ، وزوجه ، وابنه » ، فلما عزم على الخروج قال له أصهاره :

هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟!

وأخذوا منه زوجته ، فغضب آل أبي سلمة لرجلهم ، وقالوا : لا نترك ابنتنا معها ؛ إذ نزعتموها من صاحبنا ! وتجادبوا الغلام بينهم ، فخلعوا يده ، وذهبوا به ! وانطلق أبو سلمة وحيداً إلى المدينة !

فكانت « أم سلمة » - بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها - تخرج كل غداة بالأبطح ، تبكى حتى تُمسى نحو سنة !

فرق لها أحد ذويها وقال :

ألا تُخرجون هذه المسكينة ؟!

لقد فرقتم بينها وبين زوجها وولدها ، فقالوا لها : الحقى بزوجك إن شئت ؛ فاسترجعت ابنها من عصيته وهاجرت إلى المدينة !!

لم تكن هذه هي الهجرة الأولى لأبي سلمة وزوجه هند ..

إن لهما ماضياً مجيداً في الإسلام فقد كانا من السابقين الأولين ، وهاجرا معا إلى الحبشة حيث ولدت هناك ابنهما « سلمة » .

ثم قدما مكة حتى ضاقت بالمسلمين وألحت في اضطهادهم وهامى ذى تلحق بزوجها بعد أن حيل بينه وبينها ..

وضعت ابنها في حجرها ، وركبت بعيرها إلى المدينة المنورة تريد زوجها ،

وما معها أحد من خلق الله ، حتى إذا كانت بالتنعيم - على فرسخين من مكة - لقيت عثمان بن طلحة فقال :

أين يا بنت أُمّية ؟

قلت : أريد زوجي بالمدينة .

فقال : هل معك أحد ؟

فقلت : لا والله ، إلا الله ، وابني هذا .

فقال : والله مالك مترك !

وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه أكرم منه^(١) .

إذا نزل المنزل أناخ بي ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ورحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي .

فإذا ركبت واستويت على بعيره أتى فأخذ بخطامه ، فقاد حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع بي ذلك حتى قدم بي المدينة . فلما نظر إلى قرية بني عمرو ابن عوف بقاء - وكان بها منزل أُمّ سلمة في مهاجرة - قال : إن زوجك في هذه القرية ، فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف إلى مكة^(٢) .

فكانت أم سلمة - بين المهاجرات - أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت أول مسلمة هاجرت إلى الحبشة^(٣) .

وكذلك كان زوجها أبو سلمة ، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب من أصحاب رسول الله ﷺ .

وفي المدينة عكفت على تربية صغارها ، وتفرغ زوجها لمعركة الإسلام . ولما خرج الرسول ﷺ في غزوة ذي العشيرة في جمادى الأولى من السنة

(١) كان عثمان يومئذ على كفره ، وإنما أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، فلما فُتحت مكة ، دفع الرسول إليه مفاتيح الكعبة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة . وقيل : عثمان شهيدا بأجنادين في خلافة عمر - الروض الأنف : ٢٨٥/١ .

(٢) السيرة ١١٢/٢ ، والإصابة ٢٤٠/٨ ، والاستيعاب : ١٩٣٩/٤ .

(٣) الإصابة : ٢٤٠/٨ ، والاستيعاب : ١٩٣٩/٤ .

الثانية للهجرة ، وهى السنة التى وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة -
اختار أبا سلمة من بين أصحابه ، فاستعمله على المدينة .

وشهد مع الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى ، وعقد له الرسول ﷺ لواء سرية لإخضاع بنى أسد عدتها مائة وخمسون رجلا وكان تحت لوائه :
أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص . وحقق الفارس أبو سلمة ما أمره
به النبى ﷺ من أخذ العدو على غرة ، وقاد معركة ظافرة ، وعاد غانماً .
وكان أبو سلمة يقود معركته ، وفيه جرح خطير أصابه يوم « أحد »
ثم التأم التاماً سطحياً ، فلما أجهده النضال مع بنى أسد ، عاد الجرح ففغر ،
وظل به حتى قضى عليه .

وحضره النبى وهو على فراش موته ، وبقي إلى جانبه يدعو له بخير حتى
مات ، فأسبل يده الكريمة عينيه ، وكبر عليه تسع تكبيرات ، قيل له :
يا رسول الله ، أسهوت أم نسيت ؟

فأجاب : « لم أسه ولم أنس ، ولو كبرت على أبى سلمة ألفا ، كان أهلاً
لذلك » (١)

وترك من بعده « أم سلمة ، هند بنت زاد الركب » أولى المهاجرات إلى
الحبشة ثم إلى المدينة .

وتقدم إليها أبو بكر وعمر خطابين فرفضت فى رفق !
ومن بعدهما بعث إليها النبى يخطبها فتمنت لو يتاح لها ذلك الشرف العظيم
لكنها اعتذرت وقالت : إنها غيرى ، مسنة ، ذات عيال ..
فأجاب محمد - عليه الصلاة والسلام :

« أما أنك مسنة ، فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما
العيال فأبى الله ورسوله » (٢)

وتم الزواج ..

(١) السيرة : ١١٢/٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ١٧٧/٢ ، والإصابة : ٢٤٠/٨ .

(٣) السمت الثمين : ٨٩ - وقد زوج النبى «سلمة» بنت عمه حمزة . نسب قريش : ٣٣٨ .

هذه قصة هجرة أحد أصحاب رسول الله ﷺ وزوجه إحدى الصحابيات الجليلات أردت أضعها كاملة أمام القارئ ليدرك كم كانت تضحية أُمى سلمة ، وكم تحمل آل أُمى سلمة من المتاعب النفسية !

رجل يفرق بينه وبين زوجته وبين ولده !
وزوجة مسلمة يُفرّق بينها وبين زوجها ووليدها ..

ثم طفل برىء يفرّق بينه وبين أبيه وأمه ..

والقصة بدون تعليق تنطق بما عاناه آل بنى سلمة ، وحسبنا ما قالته أم سلمة : « ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أُمى سلمة !! » .
إن أم سلمة لم يفتها أن تُشيد بأنبل موقف لعثمان بن طلحة ، إنه موقف ينم عن مروءة وشهامة ونبل ورجولة على الرغم من أنه لم يكن مسلماً آنذاك !
إن كفره لم يمنع أم سلمة من أن تعترف له بالفضل ، وتقر له بالوفاء ، فالعري كان ولا يزال من أبرز صفاته : النبل والشهامة والمروءة والرجولة !
ولا يفوتنا أن نحدثك عن عبقرية أم سلمة في الإسلام .



❖ أم سلمة ودور القدوة العملية في التربية

كل المؤرخين الإسلاميين تحدثوا عن عبقرية أم سلمة الفريدة عندما هبط المسلمون على مشارف مكة ، ونزلوا عند الحديبية على بعد أميال من مكة ، وفي قلوبهم ذلك الأمل الحلو .. أن يطوفوا بالبيت العتيق ! ولكنهم عندما رأوا ناقة رسول الله ﷺ تبرك وسمعوا رسول الله ﷺ يقول : « لقد حبسها حابس الفيل » - عندئذ - راحوا يفكرون :

هل يمنعون من دخول البيت الحرام ؟!

وهل سيعودون مقهورين دون أن يدخلوا مكة ؟!

وقطع عليهم هذا التساؤل نداء الرسول ﷺ فيهم : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » !!

ولكن كيف يعودون بلا طواف ولا سعي ولا عمرة ؟! إن الأمل الحلو كان يداعب أفئدتهم .. لكن رسول الله ﷺ يأمرهم أن يتحللوا من إحرامهم !! ولكن المسلمين قد أصابهم الوجوم فلم يحركوا ساكناً لقد أوقعتهم المفاجأة في دهشة وخيرة ملكت عليهم عقولهم وأفئدتهم !

وهنا يدخل الرسول ﷺ على زوجه « أم سلمة » أم المؤمنين ويذكر لها ما لقي من الناس : لقد قال لهم : « قوموا فانحروا واحلقوا فوالله ما قام منهم أحد » .

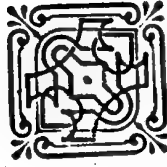
وتفتق ذهنها عن عبقرية قلّ نظيرها في التاريخ !

قلت : « يا نبي الله ، أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُذْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك » .

إن الأمر اللفظي لم يحرك ساكن أحد ، فليكن الأمر العملي .. إنه هو الذي يحسم الموقف .

فخرج ﷺ فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك .. نحر بُذنه ، ودعا حالقه

فحلّقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يخلق بعضا .
[حديث صحيح وهو من تمام قصة الحديبية عن البخارى وأحمد]
فياله من درس تربوى خالد فقهناه من أم سلمة - رضى الله عنها -
خريجة بيت النبوة - عن دور القدوة العملية فى التربية .



٢- أم حبيبة بنت أبك سفيان

من كرام من هاجر إلى الحبشة من النساء المسلمات بنت رجل من أكبر المعاندين والمعادين للدعوة آنذاك : « أم حبيبة بنت أبي سفيان » تاركة أباه وأمه وأخواتها والعز والمنعة في ظلهم ، ماضية إلى أرض الغربة والوحشة والتأني مع زوجها عبيد الله بن جحش .

وقد ألفتنا أن تترك المرأة أهلها مرضاة لزوجها ، ولكننا لم نألف أن امرأة تعيش غربتها وحيدة بلا أهل ولا زوج حفاظا على دينها .

لقد تنصر زوجها ، ودعاها إلى النصرانية ، فرفضته وقاطعته ، ولم تتخل عن دينها وهي في غربتها بلا أهل !

وظلت تعاني آلام الغربة القاتلة ، وآلام الترمّل ، وآلام الوحدة والوحشة ، لا يجمعها مع مهاجري الحبشة إلا رابطة العقيدة ، بينما أبوها سيد مكة وصاحب الكلمة النافذة ، والرأي المطاع ، لكنها ترفض حماه ، وتأوى إلى حمى الله ورعايته صابرة صادقة مجاهدة ، وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيراً !!

إنها مثال للمرأة المسلمة تقف ضد زوجها يوم يحمل عقيدة غير عقيدتها ، ودينها غير دينها ، فتمازى ولو كان زوجها ، وتقف معاكسة له في طريقه . وسيظل هذا شأن المرأة المسلمة ضد زوجها يوم يدعوها للانحراف والمعصية !!

يوم يدعوها إلى معصية الخالق ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أيا كان !

يوم يدعوها للزينة الآثمة أمام الآخرين ..

يوم يطلب منها التبرج في الطريق ..

يوم يدعوها إلى حضور الليالى الحمراء فى المواقير والمراقص والملاهى .
يوم يدعوها إلى رؤية الأفلام المأجنة .. إنها تمثل عنصر الاستقامة فى البيئة
الفاسدة .. إن ابنتها الوحيدة « حبيبة » هى رفيقتها فى غربتها .. لا سبيل لها
إلى أرض الوطن وهناك أبوها يعلنها حربا شعواء على النبي ﷺ .

ومرت حقبة من الزمن وهى فى عزلتها الحزينة حتى شعرت ذات يوم
بجارية من جوارى النجاشى تطرق بابها مستأذنة .

لقد كانت تحمل رسالة النجاشى : « إن الملك يقول لك : وكلى من
يزوجك من نبي العرب ، فقد أرسل إليك بخطبك » .

واجتمع المسلمون فى المساء بقصر النجاشى ليشهدوا إعلان الخطبة
والزواج ، وتلقت أم حبيبة التهانى والهدايا ، وأصبحت أما للمؤمنين .

واحتفلت المدينة المنورة فيما بعد بدخول بنت أبى سفيان بيت الرسول
ﷺ .

ولقد آلمها أن تظل الحرب دائرة بين زوجها وأبيها . وكان كل أملها أن
يتحقق وعد ربه : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً
والله قدير والله غفور رحيم ﴾ [المتحنة : ٧]

وتم فتح مكة .. وأعلن أبو سفيان إسلامه ، وبعث أبو سفيان من نادى
فى مكة : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وعادت الفرحة تغمر قلب
« رملة » وسجدت لله شاكرة .

وفى مدينة الرسول ﷺ لقيت ربه فى خلافة أخيها معاوية .

٣ - أسماء بنت عميس

ذات الهجرتين

أسلمت أسماء قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم .. وبايعت الرسول ﷺ على السمع والطاعة ! وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب .

وقالت : يا رسول الله ، إن رجلا يفخرون علينا ويزعمون أن لسانا من المهاجرين الأولين !

فقال رسول الله ﷺ : بل لكم هجرتان : هاجرتن إلى أرض الحبشة ونحن مرهونون بمكة . ثم هاجرتن بعد ذلك . وروت عن النبي ﷺ ستين حديثاً .

قال الدارقطني : انفرد بالإخراج عنها مسلم ، ولم يذكر عدد ما أخرج لها من الأحاديث .

وكان عمر بن الخطاب يسأل أسماء بنت عميس عن تفسير المنام ، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره .

ويقال : إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها ، وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دماً^(١) !!

وأخرج ابن السكن بسند صحيح عن الشعبي ؛ قال :

تزوج علي أسماء بنت عميس ، فتفاخر ابنها : محمد بن جعفر ، ومحمد

(١) الإصابة ، طبقات ابن سعد ، الاستيعاب ، أسد الغابة ، سيرة ابن هشام ، سير النبلاء .

ابن أبي بكر ؛ فقال كل منهما : أنا أكرم منك ، وأنى خير من أبيك ، فقال لها علي :

اقضى بينهما .

فقالت : ما رأيت شاباً خيراً من جعفر ، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر ، فقال لها علي :

فماذا أبقيت لنا*؟



* الإصابة - طبقات ابن سعد - الاستيعاب - أسد الغابة - سيرة ابن هشام .

ليلك بنت أبك حثمة بن حذيفة

من فواضل نساء عصرها .. أسلمت قديما ورياعيت النبي ﷺ .
هاجرت المهجرتين جميعا مع زوجها « عامر بن ربيعة العنزي » ثم هاجرت
إلى المدينة .

ويقال : إنها أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة وصلت إلى القبلتين .
وتقول « ليلي » : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ،
فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءني عُمر وأنا على بعيري ؛ فقال :
إلى أين أُمَّ عبدِ الله ؟!

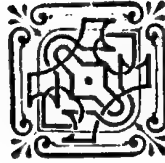
فقلت : آذيتُمونا في ديننا فنذهب في أرض الله !
قال : صحبكم الله !

ثم ذهب فجاءني زوجي : « عامر بن ربيعة » .
فقال لما أخبرته خبرهم : ترجين أن يسلم !

وهذا ابنها عبد الله بن عامر يحدثنا عن قيمة تربوية عظيمة نهديها إلى
الأمهات اللاتي يسرفن في الوعود لأبنائهن ولا يصدّقن في شيء منها !
يقول ابن حجر في الإصابة :

روى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان : أن رجلا من موالى عبد
الله بن عامر حدثه عن عبد الله بن عامر قال :

دعتنى أُمى يوما ورسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قاعد فى بيتنا
فقلت : هَاكَ ، تعال أعطيك شيئاً .
فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ماذا أردت أن تعطيه ؟
فقلت : أعطيه : تَمراً .
فقال : « أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَ عليك كذبة » .
فليحذر أولئك الذين يَعِدُونَ ولا يوفُونَ ، ويقولون ولا يصدقون أن يفقد
أبناؤهم ثقتهم بهم !!



٥ - الشفاء بنت عبد الله ابن شمس بن خلف القرشية

أسلمت الشفاء قبل الهجرة ، وهاجرت إلى المدينة ، فكانت من المهاجرات الأول ، وبايعت النبي ﷺ فكان ﷺ يأتيها ، ويقبل عندها في بيتها .

وقال لها النبي ﷺ : « علمي حفصة رقية التَّمْلَة ^(١) كما علمتها الكتابة » وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الكحالين ، فنزلتها مع ابنها . وهي صحابية جليلة ذات عقل وفضل وسداد رأى ، كان عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي ، ويرضاها ، ويفضلها ، وربما ولأها شيئاً من أمر السوق .

روت عن النبي ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب .
وروى لها أبو داود .

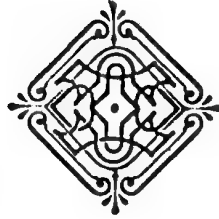
لقد كانت الشفاء كاتبة تكتب في الجاهلية وها هي ذى تتولى في الإسلام تعليم حفصة أم المؤمنين الكتابة .
ولعل شخصية الشفاء أعجبتك ، ولعل ما يسعدك أن نذكر لك حديثاً روته عن أفضل الأعمال .

في المسند من طريق المسعودي كما جاء في الإصابة :
عن الشفاء بنت عبد الله ، وكانت من المهاجرات - أن رسول الله ﷺ

(١) التَّمْلَة : قروح تخرج في الجنب كما قال ابن قتيبة .

سئل عن أفضل الأعمال فقال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله ، وحج مبرور » .

قال ابن سعد : وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ، ويقيم عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشا وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منه مروان بن الحكم^(١) .



(١) الإصابة ج ٨ ص ٧٢٧ .

٦ - فاطمة بنت قيس بن خالد

القرشية الفهرية

من المهاجرات الأوليات ..

كانت ذات حسن وجمال وعقل وكمال .

وكانت زوجة لأبي عمرو بن حفص بن المغيرة فطلقها .. فتقدم لخطبتها كثيرون منهم معاوية بن أبي سفيان فاستشارت النبي ﷺ فأشار عليها بـ « أسامة بن زيد » فتزوجت به فقالت :

« لقد اغتبطت بنكاحي إياه » .

وفي طلاقها ونكاحها سنن كثيرة مستعملة تناولتها كتب الحديث .

روت عن النبي ﷺ ٣٤ حديثاً .

لها حديث متفق عليه في مسند عائشة . ولمسلم ثلاثة أحاديث .

وروى لها الجماعة ، وهي التي روت حديث السكنى والنفقة للمطلقة بتهمة^(١) . وهي التي روت قصة الجساسة^(٢) .

لقد عاشت في خدمة الدعوة . وحسبها أن أصحاب الشورى عند قتل عمر بن الخطاب قد اجتمعوا في بيتها .

وأن بيتها شهد خطبهم الماثورة . قال الزبير : كانت امرأة نجوداً^(٣) .

إن كل واحدة من هؤلاء الصحابيات لا تخلو من جانب مشرق وضاء

(١) تاريخ الإسلام : « النفقة في الطلاق والعدة » .

(٢) وهي دابة - زعموا - أنها تجس الأخبار وتكون في الجزائر ، فأتى بها الدجال... وهي المذكورة في حديث تميم الداري .

(٣) امرأة نجود : عاقلة نبيلة .

تسهم به في نشر دينها وإعلاء شأنه ، ورفع رايته .

وإذا طاب لنا أن نتحدث عن الهجرة والمهاجرين والمهاجرات فإننا لا ننسى الدور الكبير الذي قام به الأنصار في تهيئة الأمن والأمان للمهاجرين ..

لقد وسعتهم قلوبهم قبل أن تسعهم دورهم وأموالهم !
لقد نزل رجل ضيفاً على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى إحدى زوجاته :
هل عندك طعام ؟

فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء !
ثم قال لأصحابه : من يستضيف هذا الرجل ؟
فقام رجل من الأنصار ، وقال : أنا أضيفه يا رسول الله !!
فأخذ بيده إلى داره ، وقال لزوجته : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ .
فقالت : وهل عندنا إلا ما يكفى أولادنا ؟!
فقال لها : أنيمهم ، فإذا أعددت الطعام فأطفي السراج ، ثم وضع
الطعام أمام الرجل ، فجعل يأكل حتى شبع !
وبات الأنصاري وزوجته طاويين !

ولما أصبح الصباح ، قال له رسول الله ﷺ : « لقد عجب الله من
صنيعك ، فأنزل قوله : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون
من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على
أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون ﴾ [الحشر : ٩]

[رواه البخاري ومسلم والنسائي]

سابعاً

المرأة المسلمة مجاهدة

- نسيبة بنت كعب الأنصارية .
- أم حبيب بنت العاص القرشية
- أم حرام بنت ملحان .
- حمنة بنت جحش الأسدية .
- هند بنت عمرو بن حرام .
- سمية أم عمار .

مجاهدات فدائيات !



✽ المرأة والمشاركة الإيجابية

من يتأمل صفحات تاريخنا الإسلامى يجد أن المرأة المؤمنة قد شاركت خلال مراحل النضال فى معارك مختلفة مشاركة إيجابية فعالة غير مكثفة بالغضب ، أو الشكوى ، أو المقاومة السلبية .

وإننا لنراها فى كل معركة تقف بنفسها على تقف الجرحى ، ومداواتهم بنفسها ، وتُعَيشهم فى مشاكلهم حتى لكأنها أم المجاهدين .

لقد كانت عنصرًا إيجابيًا ناشطًا قادرًا على المشاركة فى تحمل المسئوليات فأدّت واجبها فى ميادين النضال والكفاح على أكمل وجه وأتمه ، تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف ، وتساقط النبال كالمطر على المسلمين لإيصال الغذاء والدواء والسقاء للمقاتلين .

لقد كانت تقوم بالحراسة ، وإعداد الزاد والعتاد ، وتقف مرابطة خلف الصفوف المناضلة تسقى العطشى ، وتداوى الجرحى ، وتمرض المرضى ، ثم تشترك فى المعركة عندما يدعو الداعى .

وحسبها فخرا أنها كانت أول شهيدة فى الإسلام ، فما كان أول شهيد رجلا ، ولكنها كانت السيدة سمية رضى الله عنها وأرضاها^(١) .
وما هى ذى نساذج منهن كن حول الرسول ﷺ .



(١) أسد الغابة ج ٧ ص ٢٥٩ .

١ - نسبية بنت كعب الأنصارية

أم عمارة

من واجب كل منا أن يسائل نفسه بين الحين والحين : ما المبادرات التي قمت بها لإعلاء ديني ورفع رايته ؟ وأين أنا من أولئك السابقين الذين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ؟ هل أخذو حذوهم ؟ وهل أضحي بالنفس والمال كتضحياتهم ؟ وماذا قدمت لله ورسوله ؟

إن مثل هذا التساؤل يُرينا أين نحن على الطريق .. وعندئذ نواصل المسيرة ، أو نُعدّل المسار !

لا يكفي أن يكون أحدنا عضوا منتسبا إلى الإسلام ، بل لا بد أن يكون عضوا عاملاً نافعاً ينفع نفسه ، وينفع أمته ، يليى نداء الواجب .

إن أم عمارة مثل من أمثلة الشجاعة الدائمة في كل موقف .. إنها صورة للبطولة المتجددة التي لا تتخلى عن واجبها حين يدعوها الواجب !!

كل هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة !!
إنها صحابية جليلة ..

كانت إحدى امرأتين انضمتا إلى سبعين رجلا من الأنصار لمبايعة النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية .. وكان معها زوجها زيد بن عاصم . وابناها منه : حبيب الذي قتله مسيلمة بعد ، وعبد الله ، وهو راوى حديث الوضوء . أما المرأة الثانية فهي أختها !

وإن دل موقفها على شيء فإنما يدل على شجاعة القلب ، ومروءة النفس ، وصدق البلاء ، وسرعة النجدة ، وليس أدل على ذلك مما قاله الرسول ﷺ آنذاك لمبايعيه :

« الدَّمُ الدَّمُ ، وَالْهَلْدَمُ الْهَلْدَمُ ! »^(١).

« أَنعم مني ، وَأَنَا مِنْكُمْ ، أَسَلم من سَلمم ، وَأَحَارِب من حَارِبم »^(٢).

تلك كانت البداية !!

ويلخص ابن سعد في طبقاته صورة رائعة لمبادراتها فيقول :

« أَسَلَمْتُ أُمَ عُمَارَةَ ، وَحَضَرْتُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَبَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَشَهِدْتُ أُحُدًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ وَخَيْبَرَ ، وَعُمْرَةَ الْقَضِيبَةِ ، وَخُنَيْنًا ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ ، وَقُطَيْعَتَ يَدِهَا ، وَسَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ » .

ولندع نسيية تحدثنا عن مبادراتها كما رواها ابن سعد :

قَالَتْ أُمُ عُمَارَةَ نَسِييَةُ بِنْتُ كَعْبٍ شَهِدْتُ عَقْدَ النَّبِيِّ ﷺ الْبَيْعَةَ لَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَبَايَعْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ الْقَوْمِ .

وتقول عن موقفها يوم أُحُد :

خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أُحُدٍ ، وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَالذُّوْلَةُ وَالرَّيْحُ لِلْمُسْلِمِينَ .

فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلْتُ أَبَاشِرَ الْقِتَالِ ، وَأَذْبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ ، وَأَرْمِي بِالْقَوْسِ ، حَتَّى خَلَصْتُ إِلَى الْجِرَاحِ !

وَتَسَاءَلَهَا أُمُ سَعِيدُ بِنْتُ بَنِي رَيْبِعٍ رَاوِيَةَ الْحَدِيثِ عَنْ ذَلِكَ الْجِرَاحِ الَّذِي رَأَتْهُ عَلَى عَاتِقِهَا غَائِرًا أَجُوفَ فَتَقُولُ :

أَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ ، وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَصِيحُ : دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ؛ فَلَا نَجُوتَ إِلَّا نَجَا !!

فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَنَاسٌ مَعَهُ كُنْتُ فِيهِمْ ، فَضَرَبَنِي . يَقُولُ

(١) حديث صحيح رواه ابن إسحق في المغازي (١/٢٧٣-٢٧٦) عن ابن هشام وأحمد

(٢/٩٠-٩٣) وابن جرير في تاريخه (٢/٩٠-٩٣) من طريق ابن إسحق .

(٢) وأما قوله في آخر القصة : أَنعم مني وَأَنَا مِنْكُمْ فَأُخْرِجُهُ ابْنُ إِسْحَاقَ (١/٢٧٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

ابن أَبِي بَكْرٍ مَرْسَلًا فَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ (٢/٩٣) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

عنها الإمام الذهبي :

هي الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية التجارية المازنية المدنية . كان
أخوها عبد الله بن كعب من البدرين .

وكان أخوها عبد الرحمن من البكائين .

شهدت أم عمارة ليلة العقبة ، وشهدت : أحداً ، والحديبية ، ويوم
حُنين ، ويوم البجامة ، وجاهدت وفعلت الأفاعيل
رَوَى لها أحاديث ، وقُطِعَت يدها في الجهاد !

ويقول الواقدي :

شهدت أحداً مع زوجها ، ومع ولديها من زوجها الأول .
خرجت تسقى ، ومعها شَنٌّ^(١) ، وقاتلت وأبليت بلاء حسناً وجرحت
اثنى عشر جرحاً .

ويروى الإمام الذهبي عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لِمَقَامِ نَسِيَةِ بِنْتِ كَعْبِ الْيَوْمِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ » .

ويقول ابن سعد : وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال ، ولأنها لحاجة
ثوبها على وسطها ، حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحاً ، وكانت تقول : إني
لأنظر إلى ابن قميلة وهو يضربها على عاتقها ، وكان أعظم جراحها ، فدأوته
سنة ، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ : إلى حمراء الأسد ، فشدت عليها
ثيابها ، فما استطاعت من نزف الدم ، رضى الله عنها ورحمها .

ويروى ابن سعد على لسانها قالت :
رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقي إلا في ثُفَيْرٍ
ما يتمون عشرة ، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذْبُ عنه ، والناس يمرون
منهمين ، ورأني ولا تُرس معي ، فرأى رجلاً مُولِياً ومعه تُرس ، فقال
لصاحب الترس : ألق ترسك إلى من يقاتل ، فألقاه ، فأخذته ، فجعلت أتُرس
به عن رسول الله .

(١) الشن : القرية المخلقة .

(٢) على ثمانية أميال من المدينة . (بالقوت) .

وإنما فعل الأفاعيل بنا أصحاب الخيل ، لو كانوا رجاله مثلنا أصبناهم إن شاء الله .

فيقبل رجل على فرس فيضربني ، وتترست له ، فلم يصنع شيئاً ، وولّى ، فأضرب عُقُوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي ﷺ يصيح : يا بن أم عُمارة ، أُمك ! أُمك ! قالت : فعاونني عليه ، حتى أوردته شعوب^(١) .

ويروى الإمام الذهبي على لسان ابنها عبد الله بن زيد قوله : جرحت يوماً جرحاً ، وجعل الدم لا يرقأ ، فقال النبي ﷺ : اعصب جرحك . فتقبل أُمي إليّ ومعها عصائب في حقوها^(٢) ، فربطت جرحي ، والنبي ﷺ واقف ، فقال : انهض فضارب القوم ! ، وجعل يقول :

من يطبق ما تطيقين يا أم عُمارة ! فأقبل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا ضارب ابنك » .

قالت : فأعرض له ، فأضرب ساقه ، فبرك . فرأيت رسول الله ﷺ يتسم حتى رأيت نواجذه ، وقال : « استقدت^(٣) يا أم عُمارة ! » . ثم أقبلنا نعلّه^(٤) بالسلاح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي ﷺ : « الحمد لله الذي ظفرك^(٥) » .

دعاء النبي ﷺ لها ولولديها :

يروي الإمام الذهبي عن عبد الله بن زيد بن عاصم يقول : شهدت أحداً فلما تفرقوا عن رسول الله ﷺ دنوت منه أنا وأُمي ، نذَّبُ عنه ، فقال :

(١) أى قتله . وشعوب : اسم من أسماء النية .

(٢) الحقو : معقد الإزار . وفي الطبقات : « في حقوبها » .

(٣) استقدت : انتقمت .

(٤) أى تابع ضربه بالسلاح .

(٥) للحديث بقية ذكرها ابن سعد .

ابن أم عُمارة ؟

قلت : نعم ،

قال : ارم .

فرميت بين يديه رجلا بحجر - وهو على فرس - فأصبت عين الفرس .
فاضطرب الفرس ، فوقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، والنبي ﷺ
يبتسم .

ونظر إلى جرح أُمى على عاتقها ، فقال : « أملك ! أملك ! اعصب
جرحها ! اللهم اجعلهم رفقاء في الجنة ! » .

قالت : « ما أبالي ما أصابني من الدنيا » ؟!

تلك هي أم عُمارة رفعت لواء الدين ، ودافعت عن رسول رب العالمين ،
جرحت بأحد اثني عشر جرحاً ، فقدمت المدينة ، وبها الجراحة .

ولقد رنى أبو بكر - رضى الله عنه - وهو خليفة يأتيا يسأل عنها .
وأتى عمرُ بن الخطاب - رضى الله عنه - بمروط ، فيها مِرطٌ (١) جيد ،
فبعث به إلى أم عُمارة .

ومضت الأيام ، وظلت نسيبة تخدم الإسلام ، وتؤدى واجبها في الحرب
والسلام .

وشهدت مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وهي بيعة المعاهدة على
الشهادة في سبيل الله .

ولحق الرسول ﷺ بربه مع الرفيق الأعلى ، وظهر اللعين مسيلمة
الكذاب ، وهب الجميع لمحاربه وفيهم حبيب بن زيد بن عاصم ولد نسيبة
ويقع حبيب في يد مسيلمة أسيراً ، فيذيقه ألوان العذاب ، ولكنه يظهر من
الصبر والتجلد ما يخيب ظن مسيلمة فيه !

فيقول له مسيلمة : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟! فيقول حبيب : نَعَمْ .

فيقول له : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ! فقطع مسيلمة

(١) كساء من خز أو صوف أو كان .

جسم حبيب حتى مات !

وعندما علمت نسيبة بمصرع ابنها نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة ، وخرجت إلى معركة « اليمامة » مع ابنها الآخر : عبد الله ، وكانت حريصة على أن تقتل مسيلمة بيدها ، ولكن القدر أراد أن يكون القاتل له : هو ابنها عبد الله الذى ثأر لشقيقه حبيب .

وقد ذكر الواقدي ما أبلته في هذه الحرب فقال : « لما بلغها قتل ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتل ، فشهدت موقعة اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل مسيلمة ، وقطعت يدها في الحرب » . تقول أم عمارة : تقطعت يدي يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لى ناهية - أى مانع - حتى رأيت الخبيث مقتولا ، وإذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه ، فقلت له : أقتلته ؟ قال : نعم .

فسجدت لله شكرا .

ويقول المؤرخون إن « وحشيا » قاتل حمزة اشترك مع عبد الله فى قتل مسيلمة .

رحم الله نسيبة رحمة واسعة ، وهنيئا لها بهذا الرضا السامى ، ورضى الله عنها وأرضاها !



٣ - أم حبيب بنت العاص

القرشية

يقول ابن عساكر في تاريخه عنها : هي مجاهدة جليلة ..
أدركت عصر النبي ﷺ وشهدت اليرموك .. وَخَصَّتْ الرجال على القتال ..

لما شد طرف من الروم على عمرو بن العاص انكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أول المعسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة وَلَّى فيها الظفر .

فنزلت النساء من التل بعُمد يضربن وجوه الرجال .

وقادت أم حبيب الناس وهو تقول :

قَبَّحَ اللهُ رجلا يفر عن حليلته ..!

وقَبَّحَ اللهُ رجلا يفر عن كريمته ..!

فتراد المسلمون ..

وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موقعهم !

أرأيت ماذا كانت تفعل النساء في صدر الإسلام ؟!

أرأيت دورهن في العمل على تحقيق النصر ؟!

[تاريخ ابن عساكر]

٣ - أم حرام بنت ملحان

خالدة أنس بن مالك ، وأخت أم سليم ، وزوجة عبادة بن الصامت وهي الأنصارية النجارية المدنية .

ويقول ابن حجر في الإصابة :

قال أبو عمر - في الاستيعاب - لا أقف لها على اسم صحيح ، وثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره عن طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبي طلحة ، عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا ذهب إلى قُبَاء دخل على أم حَرام بنت مَلْحان ، فَنُطِعَها ، فدخل عليها فَأُطِعَته ، فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .. الحديث في شهداء البحر ، وفي آخره : قال : فركبت « أم حرام » البحر في زمن معاوية ، فصرعت عن دابَّتها حين خرجت من البحر فماتت .

وفي بعض طرقه في البخاري عن أنس ، عن أم حرام بنت ملحان ، وكانت خالته - أن رسول الله ﷺ قال في بيتها^(١) ، فاستيقظ وهو يضحك ، وقال :

عرض على أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله ، ما يضحكك ؟

فقال : « عرض على ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر

(١) قضى وقت القيلولة حيث يشتد الحر ، وكانت تجمعها بأمة دار واحدة .

كالمملوك على الأسرة » .

قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : « أنت من الأولين » .

فتزوجها عبادة بن الصامت ، فأخرجها معه ، فلما جاز البحر ، ركبت دابة فصَرَعتها فقتلتها ! قال ابن الأثير في « أسد الغابة » :

وكانت تلك الغزوة غزوة « قبرس » فدفنت فيها ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان ، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة ، وذلك في سنة سبع وعشرين .

روت عنه صلى الله عليه وسلم خمسة أحاديث .

وأُخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه^(١) .

ويقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء :

حديثها في جميع الدواوين سوى جامع أبي عيسى . كانت من عليّة القوم .

حدث عنها : أنس بن مالك ؛ وغيره .

ويروى الإمام الذهبي أيضاً عن أنس قال :

« دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماهو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام ،

فقال : « قوموا فلاصَلّ بكم » ، فصلّى بنا في غير وقت الصلاة » .



(١) الإصابة (ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠) .

٤ - حمنة بنت جحش الإسلامية

أخت أم المؤمنين زينب .
كانت زوج « مُصعب بن عُمَيْر » فَقُتِلَ عنها يوم أُحُد ! فتزوجها « طلحة
ابن عبيد الله » ، فولدت له محمدا وعمران .
قال أبو عمر في الاستيعاب :
كانت من المبايعات ، وشهدت أُحُدًا ، فكانت تسقى العطشى ، وتحمل
الجرحى ، وتداويهم .
وقال ابن سعد : أطعمها رسول الله ﷺ من خير ثلاثين وسقًا .
وهي والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجاد .
إن حمنة - رضى الله عنها - نموذج رائع للتضحية والفداء ..
وهي ابنة عم الرسول ﷺ .
وأما أميمة بنت عبد المطلب .
ولقد كان موقفها في « أُحُد » مما تزل دونه أقدام الرجال .. قال
المؤرخون : إنها كانت تغشى المعركة فتحمل الجريح ، وتعود به حيث تأسو
جراحه !
ولقد كانت « حمنة » رضى الله عنها مسلمة مثالية بكل ما في الكلمة
من معنى ..

(*) الإصابة ج ٧ ص ٥٨٦ . والوسق : مكيلة معلومة وهي ستون صاعا ، والصاع خمسة أروطال
وثلاث . وحمل البعير أو العربة والسفينة .

كانت مجاهدة صابرة محتسبة ، فقدت زوجها « مصعب بن عمير » في هذه المعركة ، فرضيت بقضاء الله ، واحتسبته عنده !

وعرضها الله عنه « طلحة بن عبيد الله » أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فولدت له السيد التقى محمد بن طلحة المعروف بـ « السجاد » وتمر الأيام والأعوام فإذا الناس يذكرون حمزة ، ومصعبا ، وطلحة بكل الخير .

لقد كانوا جميعا حول رسول الله ﷺ في خدمة الدعوة الوليدة ، يرفعون راية الإسلام ، ويواجهون أعداءه وينشرون دعوته أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون !

إذا تحدث الناس عن نساء في القمة فإن حمزة بنت جحش تتراءى لنا بينهن شامخة عالية القدر !!

قال ابن سعد في الطبقات : أطعمها الرسول ﷺ من خير ثلاثين وسقا وهي والدته محمد بن طلحة المعروف بالسجاد^(١).



(١) الطبقات : ٨ ر ١٧٥ .

٨ - هند بنت عمرو بن حرام

زوجة عمرو بن الجموح

امتلاً قلبها بالإيمان وحب الدين الجديد .. فراحت تؤيد صاحب الرسالة وتحرض ذويها على قتال المشركين في أحد . وكان زوجها سيداً من سادات بني سلمة ، وشريفاً من أشرافهم .

وعلى الرغم مما كان بزوجها من عرج - وليس على الأعرج حرج - فقد اندفع زوجها وراح يقاتل أعداء الله حتى استشهد !

واستشهد ابنها خلاد ، وأخوها عبد الله فحملتهم على بغيرها وأتت المدينة لتدفنهم ! ولحقتها أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فقالت هند : « عندك الخير .. ما وراءك ؟ » .

قالت هند : « أما رسول الله ﷺ فصالح ، وكل مصيبة بعده جَلَلٌ » (أى : صغيرة هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء !!

قالت عائشة : من هؤلاء ؟

قالت : « أخى ، وابنى خلاد ، وزوجى عمرو بن الجموح » .

قالت : فأين تذهبين بهم ؟

قالت هند : إلى المدينة - أقبرهم فيها .

وزجرت أم خلاد البعير ليتابع مسيره ، فما استطاع ، فلما وجهته جهة الميدان تحرك وأسرع حتى بلغ مكان المعركة ، وهناك دفنهم الرسول ﷺ معاً ، وقال لها : « ياهندُ ، ترافقوا في الجنة : عمرو بن الجموح ، وابنتك خلاد ، وأخوك عبد الله » .

ففرحت وقالت :

يا رسول الله ، « ادع الله أن يجعلني معهم » .
ألا ما أكبر قلبك يا هند ! ، وما أعمره بالإيمان ! ومن ذلك الذي يحمل
مثل هذا القلب في دنيا الرجال ؟ !

يا عجباً !! امرأة تفقد زوجها ، وابنها وأخاها في يوم واحد ، فلا يرتجف
لها قلب ، ولا تدمع لها عين ! إنه الإيمان بالله ورسوله لا مكان في قلبها
للحزن ، فهو عامر بالله وأحب الشهادة في سبيله !

لقد كنت يا هند في قمة الصبر والإيمان والثقة بما عند الله عندما ذكر
الرسول ﷺ قتلك فرحت تقولين : « يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني
معهم » لست جازعة من الحياة ، ولكنك راغبة فيما عند الله !
وإن نعجب فعجب لهذه الأسرة المسلمة التي كانت هند ترعاها وتسهر
عليها .

زوجها « عمرو بن الجموح » يفد على رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد
شاكياً له موقف أولاده منه ، إنهم يريدون منعه من الخروج نظراً لما به من
عرج قائلين له :

إن الله قد وضع عنك الجهاد ، ولك عذر ! إنه مصاب في رجله ،
والقرآن يقول : ﴿ ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا
على المريض حرج ﴾ [النور : ٦١]

ومادام الحرج قد ارتفع عنه ، فلا عليه إن هو لم يذهب إلى المعركة ولم
يشترك في القتال ! لكنه يصبر على تحقيق رغبته ويذهب إلى رسول الله ﷺ
قبل غزوة أحد فيقول :

يا رسول الله ، إن أولادى يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك ، والله
إنى لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ..

وعرض الرسول ﷺ على أولاده أن يحققوا رغبته ، فاستجابوا ،
وخرج ، ونال الشهادة !

وهنا قال الرسول ﷺ :

« والذي نفسى بيده لقد رأيتُهُ وهو يطأ بعرجته في الجنة ! »

لقد كان لعمر بن الخطاب أربعة أبناء يجاهدون معه !
فلنذكر دائماً هذه الأسرة المسلمة التي أسهمت في رفع راية الإسلام .
وكيف تُنسَى هند بنت عمرو بن حرام .. إنها شخصية لا تُنسى !!
وتمر الأيام ويظل زوجها عمرو بن الجموح رمزاً للجود والتضحية في
سبيل الله .

روى البخاري في الأدب المفرد ، والسراج ، وأبو الشيخ في الأمثال ،
وأبو نعيم في المعرفة عن جابر قال :

قال لنا رسول الله ﷺ : « من سيديكم يا بني سلمة ؟ »
قالوا : الجَدَّ بن قيس ، على أننا نُبَخِّلُهُ . فقال بيده هكذا ، ومدَّ يده ،
وأى داء أدواً من البخل ؟

بل سيديكم عمرو بن الجموح ^(١) .

قال : وكان عمرو بن الجموح يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج .
قال أحمد : « أتى عمرو بن الجموح النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ، أرايت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي
هذه في الجنة ؟ »

قال : نعم . وكانت رجله عرجاء حينئذ .

وقال ابن أبي شيبة في أخبار المدينة : « أتى عمرو بن الجموح إلى رسول
الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرايت إن قاتلت حتى أقتل في سبيل الله أمشي
برجلي هذه في الجنة ؟ » .

قال : نعم .

وكانت عرجاء ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبي ﷺ به فقال :

« فإني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة » ^(٢)

(١) الإصابة ج ٤ ص ٦١٥ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٦١٧ .

وأمر رسول الله ﷺ بهما ومولاهما فجعلوا في قبر واحد .

وكثيرا ما كان يردد ما أنشده له المرزباني :

أتوب إلى الله سبحانه وأستغفر الله من ناره
وأثني عليه بآلائه بإعلان قلبي وإسراهِ

وستظل هند بنت عمرو بن حرام نموذجاً لفواضل نساء عصرها ، يقول
ابن سعد في الطبقات .

أسلمت ، وبايعت ، وشهدت خيراً مع رسول الله ﷺ .



٦ - السمية

أم عمار بن ياسر

صورة مشرقة لأول شهيدة في الإسلام !

زوج ياسر ، وأم عمار !

استطاعت بإيمانها أن تتحدى فرعون هذه الأمة « أبا جهل » . والكل يعلم من هو أبو جهل طغياناً وغلظة !

كانت هي وزوجها وابنها عمار قد ألقى بأجسادهم فوق الرمال الساخنة ، لتتمكن السيّاطُ منها ، وهم موثقو الأيدي والأقدام حتى عجزوا عن الحركة تماماً .

لكنهم لم ينزلوا أمام هذا التعذيب عند إرادة أبي جهل ، فلم يسمع من ياسر وابنه عمار غير الصمت والأنين فلا يسعه إلا أن يُضاعف التعذيب ليعلنا ارتدادهما عن دين الإسلام .

أما سمية فقد راحت تتحدى « أبا جهل » لا بالصمت والأنين ولكنها كانت ترد بعنف مؤكدة له أن لا أمل في محاولته ، وأنها قررت أن تثبت على إيمانها مهما كان الثمن !

ألم تستمع إلى رسول الله ﷺ عندما مر بهم في العذاب : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » !!

إن كل عذاب يهون في سبيل تلك الجنة !

ووجد أبو جهل نفسه وقد تحدته امرأة ضعيفة وهزت كبريائه ، وأدلت أنفه !

فماذا يفعل ؟!

إن في مواصلة التعذيب إطالة لهذا التحدى ، فلم لا يعاجلها بضربة قاضية ؟

وكتب لها أروع صفحة من الخلود ..

واستطاعت أول شهيدة في الإسلام أن تجعل من موتها حياة للإيمان وللمثل وللمبادئ .

وكما كان موت سمية نموذجاً فذاً للبطولة كذلك كانت حياة الفتاة المؤمنة في أقسى الظروف وأعنف الأحوال نموذجاً عالياً للبطولة النادرة .

يقول ابن حجر في الإصابة :

كانت سُمَيَّة بنتُ حُطَّاط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن مخزوم والددة عمار ابن ياسر سابع سبعة في الإسلام ، عذبها أبو جهل وطعنها في قُبُلِها ، فماتت ، فكانت أول شهيدة في الإسلام .

وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة ، فزوجه « سُمَيَّة » فولدت له عماراً فأعتقه وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبقوا إلى الإسلام .

ويقول ابن إسحاق في المغازي :

حدثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها آل بني المغيرة على الإسلام ، وهى تأتى غيره حتى قتلوها ، وكان عليه السلام يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يُعَذَّبون بالأبطح في رَمَضَاءِ مكة فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة »^(١).

وسوف تظل سمية رمزا للتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله ..

أليست كما يقول مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وبلال ، وحنَّاب ، وصُهَيْب ، وعمار ، وسُمَيَّة .

فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما . وأما الآخرون فألبسوا أذراع الحديد ، ثم صُهِرُوا في الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة

(١) في ثبوت هذا السياق نظر : وعلته الإرسال . أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٣/١٢) ، وأبو نعيم (١٤٠/٩) ، وأبو بكر الجصاص في (أحكام القرآن) (٢٣٦/٣) من طريق أبي عبيدة بن محمد ابن عثمان بن ياسر ، وأخرجه الحاكم (٣٥٧/٢) .

فقتلها^(١)

وتظل سمية رمزا للتضحية والفداء في سبيل الله ، ويعيش عمار ليشهد
قتل من قتل أمه ، فالقاتل يقتل ولو بعد حين .

أخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال :

أول شهيدة في الإسلام « سمية » والدة عمار بن ياسر ، وكانت عجوزاً
كبيرة ضعيفة ، ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار : « قتل الله
قاتل أمك » .

ولعل مما يلفت النظر أن يكون أول من دخل الإسلام امرأة !

وأول من استشهد في الإسلام امرأة !!

فأين أنت من هذا الشرف العظيم !؟



(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، وهو مرسل ، صحيح السند
كما جاء في الإصابة .

— ثامناً —

المرأة المسلمة مداوية وآسية

- الرّيع بنت معوذ .
- أم سنان الأسلمية
- أم زياد الأشجعية
- كعية بنت سعد
- أمية بنت قيس الغفارية
- رفيدة الأنصارية

آسيات مداويات

✧ المرأة المسلمة فى الوغى !

من يتابع السيرة العطرة يجد أن نساء العرب فى الإسلام لم يدغن لرجالهن حلة يستأثرون بها دونهن .

ولم يتركن سبيلا من سبل العظام ، ولا باباً من أبواب المجد والمكارم إلا وكن السابقات إليه !

وإننا لنراهن قد جاذبن الرجال حبل البطولة ، واصطليهن نيران الحروب فكن مؤيدات مناضلات !! وكم رأينا المرأة المسلمة تخوض الحرب لما دون القتال من إفاضة الرحمة ، وبذل المعونة ..

تخدم الجرحى وتقضى حقهم وتواسى فى الوغى من نكبا بيدها الآسية المداوية تخفف آلام الجراح ، وتمنح الثقة والطمأنينة لمن ذاقوا ويلات الحرب ، بما منحها الله من جلال الصبر ، وقوة الإيمان ، فإذا اشتملت الحرب العوان عليها رأيناها تفوق الأبطال وتناضل عن الرجال ! وإليك نماذج للأسيات المداويات .



١ - الربيع بنت معوذ

تحت شجرة الرضوان بايعت « الربيع » رسول الله ﷺ مع المبايعين :
وهي البيعة التي عاهد المسلمون فيها ربهم ورسولهم على الموت في سبيل
الله ، والتي قال الله فيها :

﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في
قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [الفتح : ١٨]

كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم
فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً
عظيماً ﴾ [الفتح : ١٠]

فوجب لها كلمة الله جلّت كلمته .

قال أبو عمر^(١) : كانت ربما غزت مع رسول الله ﷺ .

وقال ابن سعد^(٢) : روت عن النبي ﷺ .

ويتجلى لنا ما كان للربيع من منزلة عند رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى
والترمذى وغيرهما عن الربيع بنت معوذ ؛ قالت :

جاء النبي ﷺ فدخل علىّ غداة بُني لى ، فجلس على فراشى كمجلسك
منى ، فجعلت جُؤيريات لنا يضررن بالدّف ، ويندبن من قُتل من آبائى يوم
بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد .

(١) فى الاستيعاب .

(٢) فى الطبقات .

فقال لها : « دعى هذه ، وقولى بالذي كنت تقولين »^(١).

وتنجلي منزلة الرسول ﷺ عندها فيما أخرجه ابن منده من طريق أسامة ابن زيد الليثي عن أبي عبيدة بن محمد ؛ قال : قلت للربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله ﷺ ، فقالت : « يا بني ، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » .
وتنجلي دورها في المعارك فيما أخرجه البخاري والنسائي وأبو مسلم الكجّي عن الربيع بنت معوذ قالت :

« كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، ونسقى القوم ، ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » [لفظ مسلم]

وفي رواية البخاري : « نسقى الماء ونداوى الجرحى .. » الحديث .
أرأيت أيتها الأخت المسلمة كيف كرمها الرسول ﷺ لما تزوجت ووقف إلى جانبها كما وقفت إلى جانب الدعوة ؟
أرأيت أنها كانت هي وفريقها يقمن بما يقوم به « سلاح الإمدادات »
الآن ؟



(١) صحيح البخاري : (باب ضرب الدف في النكاح والوليمة) مع فتح الباري ج ٩ ص ١٠٩ - ١١١ قال ابن حجر العسقلاني : في هذا الحديث إعلان النكاح بالدف ، وبالغناء المباح ، وفيه إقبال الإمام إلى العرس ، وإن كان فيه هو ما لم يخرج عن حد المباح .

٢- أم سنان الإسلامية

امرأة من غَمَارِ أُسْلَمَ - وَأُسْلَمُ بطن من خُزاعة - قَدِمَتْ من باديتها إلى المدينة حين مقدم الرسول ﷺ إليها فبايعته .
ورافقت رسول الله ﷺ إلى خَيْبَر .

وهي التي مشطت صفية بنت حُيَيٍّ أم المؤمنين وأعدتها لتُزَفَّ على رسول الله ﷺ .

لقد كانت - رضى الله عنها - مجاهدة جليلة فقد جاءت رسول الله ﷺ وهو خارج إلى « خيبر » فقالت : « يا رسول الله ، أخرجُ معك في وجهك هذا .. أخرِزُ السَّقاء ، وأداوى المريض والجريح إن كانت جراح - ولا تكون - وأُبصِرَ الرَّحْلَ »^(١) .

فقال رسول الله ﷺ :

« أخرجى على بركة الله ، فإن لك صواحِبَ قد كَلَمْنِي وأَذِنْتُ لهن من قومك ، ومن غيرهن . فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت معنا » .
فقالت « أم سنان » : معك .

قال : « فكونى مع « أم سلمة » زوجتى ! »

قالت : « فكننت معها . وشهدت فتح خيبر »^(٢) .

(١) عن الواقدي في المغازي ٦٨٧ .

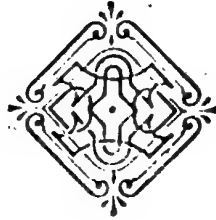
(٢) الحديث في المغازي ، والطبقات : ٨ - ٢١٤ ولزيد من التفصيل يرجع إلى ترجمتها في .

١ - طبقات ابن سعد ، ٢ - الاستيعاب لابن عبد البر ، ٣ - الإصابة لابن حجر .

٤ - ذيل تاريخ الطبرى .

وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الجمعة والعيدين . وهي من اللواتي
روين عن رسول الله ﷺ ..

وابنتها « ثُبَيْتَةُ » إحدى الثقات الفضليات من راويات الحديث .
وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لامرأة يقال لها : أم سنان :
« ما منعك أن تكوني حجاجت معنا ؟ » قالت : ناضحان كنا لأبي فلان -
تعني زوجها - حج وابنه على أحدهما ، وكان الآخر يسقى أرضنا لنا قال :
« فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي فإذا جاء رمضان فاعتمرى ،
فإن عمرة فيه تعدل حجة »^(١).



(١) أخرجه الشيخان إلى قوله : « معي » والنسائي بتمامه .

٣ - أمر زياد الأشجعية

مجاهدة مناضلة ، وقفت إلى جانب الجيش الإسلامي يوم خير .
أخرج حديثها أبو داود ، والنسائي ، وابن أبي عاصم . ورواه رافع بن سلمة عن زياد الأشجعي ..

أنها خرجت مع النبي ﷺ في غزوة خير سادسة نسوة^(١) ، قال :

فبلغ النبي ﷺ فبعث إلينا ، فقال :

« بِإِذْنِ مَنْ خَرَجْتُ ؟ »

ورأينا في وجهه الغضب ، فقلنا :

خرجنا ، ومعنا دواء نداوى به الجرحى ..

ونناول السهام .. ونسقى السويق .. ونغزل الشَّعْر .. ونُعِين في سبيل

الله ..

فقال : « أقمن » .

فلما فتح الله عليه خير قَسَمَ لهن من الثمر كما قسم للرجال * .

(١) الإصابة ج ٨ ص ٢١٢ .
(*) المراجع : أسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، وعذيب التهذيب لابن حجر . والحديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن أبي عاصم كما جاء في الإصابة .

٤ - كهيبة بنت سعد الأسلمية

بايعت النبي ﷺ بعد الهجرة .

وهي إحدى النجيبات المعدودات من طبيبات العرب ، ومن فواضل نساء عصرها !

لم يكن عملها الشريف مقصورا على مواقف الحروب !

بل كانت تداوى من أَلَمَّ به المرض في كل آن .

كانت تقام لها « خيمة » في المسجد ، تداوى فيها المرضى ، وتأسو الجرحى^(١) .

وكان « سعد بن معاذ » حين رمى يوم « الخندق » عندها تداوى جراحه ، حتى مات - رضى الله عنه -^(٢) .

وتقديرا من الرسول ﷺ لجهودها في خير أعطاها سهم الرجل المجاهد . رضوان الله عليها .

ألم تكن - بكل ما أوتيت - من حول الرسول ﷺ وفي خدمة الدعوة الوليدة ؟

من حق طبيبات اليوم أن يفخرن بها رائدة في عالم « الطب والأطباء » !
وحق للممرضات أن يفخرن بها رائدة هن !

(١) ابن سعد في الطبقات : ٢١٣-٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أبو عمر في الأسعاب .

٥ - أمية بنت قيس الغفارية

زعيمة الآسيات

هى فتاة من غِفَار ، قبيلة « أبى ذَرَّ الغفارى » تسلل نور الإيمان إلى قلبها ،
وهى مازالت فى طور الحداثة !
قدمت على رسول الله ﷺ بتابعه - على بعد المسافة - ولها أربعة عشر
ريباً .

وراحت تتحين الفرصة المواتية لتسهم بعمل ما فى خدمة الدعوة .
خرجت إلى خير^(١) على رأس نسوة من غفار تتزعمهن وهى لم تبلغ
الحيض تريد أن تقوم بما تقوم به البعثة الطبية فى ميدان القتال .
وثَلَّقَى الرسول ﷺ ، فَيَرِدُهَا خلفه فى مسيره .. ويُتاح لها أن تحسن
القيام بما تقدمت ، وثَلَّقَى من الرسول ﷺ مكافأة وتكريماً !!
لقد قلدها الرسول ﷺ قلادة لم تغادر صدرها حتى ماتت ودفنت معها
طبقاً لوصيتها !
لقد أسلمت وبايعت بعد الهجرة وشهدت مع النبى ﷺ خير كما قال
ابن سعد .

ألا تستحق أن يُفَرِّدَ لها التاريخ صفحة من صفحاته ؟
لقد كانت من حول الرسول ﷺ فى خدمة الدعوة .. راحته تخدم
المرحى وتقضى حقهم ، وتواسى فى الوغى من تُكَيِّب !

(١) عمير : لائحة على ثمانية بُرْد من اللدجة لمن يريد الشام تشتمل على سبعة حصون ومزارع وبخل
كله .

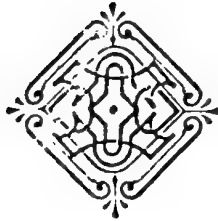
إن النياشين والقلائد في القرن العشرين لتتضاءل أمام هذه القلادة العظيمة .

ونحسب لها ألا تغادر صدرها وقبرها !

وإذا كان كل منا سوف يُحشَر على ما مات عليه ، فإن أمية سوف تحشر ، وفي عنقها تلك القلادة التي تشهد لها عند ربها !!

لقد لقيت ربها وفي أذنها أصداء كلمات طاهرة كريمة : ﴿ إنا لا نُضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ [الكهف : ٣٠]

ولعلك اشتقت إلى مزيد بيان عنها .. وسوف أنقل لك صفحة من سيرة ابن هشام^(١) لتعيشي مع طلائع الإيمان .. مع أمية بنت قيس الغفارية .



(١) وقد ترجم لها ابن سعد في طبقاته ، وابن الأثير في أسد الغابة .

❖ صفحة من السيرة النبوية لابن هشام

يقول ابن هشام تحت عنوان : (شهود النساء خير وحديث المرأة الغفارية) قال ابن إسحاق :

حدثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبي الصلت ، عن امرأة من بني غفار ، قد سماها لي ، قالت :

أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلي وجهك هذا ، وهو يسير إلى خير ، فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : « على بركة الله » .
قالت فخرجنا معه ، وكنت جارية حديثة فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رَحْلِهِ^(١) .

قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله ، وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فَتَقَبَّضْتُ^(٢) إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نُفِسْتِ^(٣) ، قالت : نعم . قال : فأصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه مِلْحًا ، ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله ﷺ خير ، رَضَخَ^(٤) لنا من الفء ، رَأَى^(٥) هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها ، وعلقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

(١) حقيبة الرجل : مؤخرته .

(٢) أمسكت بها حياء لأعطى الدم .

(٣) نُفِسْتُ : حضت .

(٤) رَضَخَ لنا : أعطانا عطاء يسيراً لم يصل إلى نصيب السهم .

قالت : « وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت » .

وأراك تقولين : يا لها من فدائية تغامر بخوض المعركة لتكون في خدمة جيش المسلمين تداوى الجرحى ، وتعين جيش المسلمين بما استطاعت ، وهي تشهد في طريقها إلى خير أول حيضة لها !

وأراك تقفين على سماحة الإسلام وتقدير القائد لكل الجهود ومكافأته عليها ماديا وأديا . وسوف تقولين : إنه الإسلام !
وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء !



٦ - رَفِيدَةُ الْأَنْصَارِيَّةِ أَوْ الْإِسْلَامِيَّةِ

امرأة من قبيلة أسلم كانت تداوى الجرحى ممن ليس لهم من يقوم بعلاجهم في خيمة لها بالمسجد النبوي .

ذكرها ابن إسحاق في قصة سعد بن معاذ لما أصابه ما أصابه بالخنдық ، فقال الرسول ﷺ :

« اجعلوه في خيمة رُفَيْدَةَ التي في المسجد حتى أعوده من قريب » .
ثم يقول ابن إسحاق :

وكانت امرأة تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها ، على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

وقال البخارى في الأدب المفرد : حدثنا أبو نعيم : قال : « ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق ف قيل : حولوه عند امرأة يقال لها : « رُفَيْدَةُ » وكانت تداوى الجرحى ، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول :

« كيف أمسيت ؟ » وإذا أصبح قال : « كيف أصبحت ؟ » فيخبره .

وأورده في التاريخ بقصة وفاة سعد ، وسنده صحيح .

ومهما تحدثوا عن العلاج بالجمان فسوف تظل « رُفَيْدَةُ » رائدة على مر الزمان !

وفها يقول الشاعر أحمد محرم في ديوانه « الإلياذة الإسلامية » :

رَفِيدَةُ : علمى الناس الخنايا وزيدى قومك العالين شائنا
مُحْدِي الْجَرْحَى إِلَيْكَ فَأَكْرَمِيهِمْ وَطَوِّفِي حَوْلَهُمْ أَنَا فَأَنَا

وإن هجع النيام فلا تنامى عن الصوت المردّد حيث كانا
وتمر الأيام والأعوام وتظل خيمة « رُقَيْدَة » بالمسجد النبوى النّموّج
الرائع للخدمات الطبية فى صدر الإسلام .



تاسعاً

المرأة المسلمة عالمة راوية للحديث

- الصديقة بنت الصديق .
- أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي
- أم أنس والددة عمران بن أبي أنس .
- فاطمة بنت أبي أسد بن هاشم .
- أم معبد الخزاعية .
- أم سليم بنت ملحان .

راويات للحديث عالمات

❖ نماذج منهن !

من يقلب صفحات التاريخ يجد أن النساء في صدر الإسلام كان منهن
معلمات فضليات انتفع بعلمهن مالا يحصى من الرجال والنساء !
ولا عجب ؛ فقد أقبلن على رواية الحديث إقبالاً عظيماً وروى عنهن
الكثيرون والكثيرات .

فهذا « ابن سعد » في « طبقاته » يحدّثنا عن سبعمائة امرأة روين عن
رسول الله ﷺ ، أو عن بعض أصحابه .

وهذا « ابن حجر » في كتابه « الإصابة في تمييز الصحابة » يترجم
لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات ، ويشهد لهن بالعلم
ويوثقهن .

وكان على رأسهن السيدة « عائشة أم المؤمنين » فقد ضرب بها المثل
في العلم ؛ حيث كانت تحدث الناس ، وتصحح للصحابة ، وتفتيهم ، بل
وتستدرك على فتاواهم ، وأقوالهم ؛ حتى أن الإمام « بدر الدين الزركشي »
ألف كتاباً سماه : « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » .
لقد لحق الرسول ﷺ بربه ، وعائشة أم المؤمنين لم تخطُ إلى التاسعة
عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض علماً ؛ فهي في رواية الحديث نسيج
وخِدها - فلم يكن بين أصحاب رسول الله ﷺ من كان أروى منها ، ومن
أبى هريرة ، على أنها كانت أدق منه وأوثق .

وكانت من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ، ودقائق الكتاب المبين .
وكان زعماء الصحابة إذا أشكلت عليهم الفرائض (المواريث) فزعوا
إليها فكشفت غوامضها ، ووضحت ما كان خافياً .

ونبع بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات ، وبرزن في علوم القرآن
والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف وليس أدل على ذلك من أن

« الحافظ الذهبي » المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وهو ثقة من ثقات المحدثين ألف كتابه « ميزان الاعتدال » في نقد رجال الحديث خرج فيه أربعة آلاف مُتهم من المحدثين ، ثم أتبع قوله بتلك الجملة : « وما علمت من النساء من أثهمت ولا من تركوها »^(١).

وعلى مر الزمان منذ عهد عائشة أم المؤمنين حتى عهد الذهبى نجد أن حديث رسول الله ﷺ ما حُفظ ولا روى بمثل ما حفظ في قلوب النساء ، وروى على ألسنتهن !

ذلكم الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . أوثق رواة الحديث عقدة ، وأصدقهم حديثاً - حتى لقبوه بحافظ الأمة - كان من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء^(٢). فهل سمع الناس في عصر من العصور ، وأمة من الأمم أن عالماً واحداً يتلقى عن بضع وثمانين امرأة عالماً واحداً؟! ذلك ما يجعلنا نفكر من جديد .. ونسأل : أين نحن على الطريق؟! إن من واجب المرأة العربية في عصرنا أن تعيد النظر فيما هي مقدمة عليه ، بعد أن تتابع خطوات الرائدات الأوليات ! وإليك طرفاً من حياة الصديقة بنت الصديق كبيرة مُحدثات عصرها .



(١) ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٢) طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٧٣ .

١ - عائشة بنت أبى بكر

أم المؤمنين

فى مقدمة من سجل التاريخ فضلهن فى النهضة الثقافية الفكرية منذ عصر النبوة أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - فقد وعى التاريخ من جليل أعمالها وعلمها وفضائلها ، ما يملأ النفوس إجلالاً لها ، وإعجاباً بها !

ولا غرو أن تبلغ عائشة ما بلغته من العلم والثقافة ، وبصيرة الفهم ، وأن تصبح مرجعاً أساسياً من مراجع الحديث والسنة ؛ يأخذ عنها المسلمون ما فيه تمام دينهم ، فهى بنت الصديق فى أكثر خصاله ومناقبه ، وهى زوجة النبى ﷺ وأحب نسائه إليه .

دخلت المدرسة النبوية فى نحو التاسعة من عمرها ، وليت تسع سنين تتلقى عن الرسول ﷺ ، وتوفى عنها معلمها ورائدها - وهى فى ريعان الشباب ، بعد أن تخرجت على يديه وتلقّت عنه ، فكانت نابعة عصرها ، ومناراً يسترشد به الناس فى أمور دينهم ، ومرجعاً من مراجع العلم ، ونابعة الفقهاء والمحدثين ، وعالمة غزيرة العلم ، وراوية من رواة الشعر النابيين .

وإذا كنا نجد الكثير من فضليات المؤمنات ، تملأ أخبارهن وأسماؤهن صحائف متعددة فى كتب طبقات المحدثين وغيرهم حتى لقد استغرقت أعلام المحدثات وأنباؤهن المجلد السادس من مسند الإمام أحمد بن حنبل إلا قليلاً من صحائفه - فإن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تأتى فى مقدمتهم .

يقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء فى ترجمته لها :

بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة .

وأُمها هي أم رومان بنت عامر .

ثم يقول : هاجر بعائشة أبواها ، وتزوجها نبي الله ﷺ قبل مُهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد ، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا ، ودخل بها في شوال ، مُنصرَفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر ، وهي ابنة تسع ، فروت عنه علما كثيرا طيبا مباركا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد ، وحزمة بن عمرو الأسلمي ، وجدامة بنت وهب . ولقد لقيت ربا ومدة عمرها ثلاث وستون سنة وأشهر .

بعض مزاياها ولحاحات من حياتها تتجلى فيها جوانب القدوة ونواحي العظمة :

كانت السيدة عائشة ممن ولد في الإسلام ، وهي أصغر من فاطمة بثمانين سنين ، وكانت تقول :

لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين .

وكانت امرأة مُهابة جميلة ، ومن ثم يقال لها : الحُمراء . ولم يتزوج النبي ﷺ بكرةً غيرها ، ولا أحب امرأة حبَّها .

ويقول الإمام الذهبي : ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها ، ونشهد أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، فهل فوق ذلك مَفخر ؟!

كيف كان زواجها ؟

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

« قال رسول الله ﷺ : أُرِيْتُكَ في المنام ثلاث لَيالٍ ، جاء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير ، فيقول :

هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك ، فإذا أنت فيه ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يُمضيه »^(١).

(١) سَرَقَةٍ من حرير : أى قطعة من جيد الحرير . والحديث رواه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة .

وأخرج الترمذى .. عن عائشة :

« أن جبريل جاء بصورتها في خِرْقَةٍ حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال :
هذه زوجتك في الدنيا والآخرة »^(١).

حب النبي ﷺ لها :

أحبها النبي ﷺ حباً شديداً كان يتظاهر به - كما يقول الإمام الذهبي -
بحيث إن عمرو بن العاص ، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة ، سأل النبي ﷺ :

« أى الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال : عائشة . قال : فمن
الرجال ؟ قال : أبوها » .

ويعلق الإمام الذهبي على هذا الحديث بقوله :

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض^(٢) ، وما كان عليه السلام
ليحب إلا طيباً .

وقد قال : « لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة ، لاتخذت أبا بكر
خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل » .

فأحبّ أفضل رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي
رسول الله ﷺ فهو حَرِيٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله .

وحبه - عليه السلام - لعائشة كان أمراً مستفيضاً ألا تراهم ، كيف
كانوا يتحرّون بهداياهم يومها تقريباً إلى مرضاته !

ويروى الإمام الذهبي عن عائشة قولها :

كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة . قالت : فاجتمع صواحيبي إلى
أم سلمة ، فقلن لها : إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير ،
كما تريده عائشة فقللى لرسول الله ﷺ يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان .

(١) المصدر السابق . وحسنه الترمذى وقال : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن عمرو
ابن علقمة المكي .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذى عن عمرو بن العاص .

فذكرت « أم سلمة » له ذلك ؛ فسكت فلم يردّ عليها . فعادت الثانية ، فلم يرد ، فلما كانت الثالثة قال :

« يا أم سلمة ؛ لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ، ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها »^(١).

وهذا الجواب منه ﷺ دالٌّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها ، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها .

ولا عجب إذا سُمع أنس يقول :

قال رسول الله ﷺ : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »^(٢).

وتقول عائشة - رضى الله عنها - :

« لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران :

١ - لقد نزل جبريل بصورتي في راحتي ، حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني .

٢ - ولقد تزوجني بكراً ، وما تزوج بكراً غيري .

٣ - ولقد قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجري .

٤ - ولقد قبرته في بيتي .

٥ - وإن كان الوحي أنزل عليه ، وإن لمعه في لحافه .

٦ - وإن لابنة خليفته وصديقه .

٧ - ولقد نزل عذري من السماء .

٨ - ولقد خلقت طيبةً عند طيب .

٩ - ولقد وُعِدَت مغفرة وورقاً كريماً »^(٣).

(١) مطلق على صحته .

(٢) مطلق عليه من طرق عن أبي طوال ، سير أعلام النبلاء .

(٣) رواه أبو بكر الآجزي عن أحمد بن يحيى الحلواني ، عنه ، وإسناده جيد ، وله طريق آخر عن بشر بن هشام : نبأ الحكم بن هشام ، عن عبد الملك بن عمير قال : « قالت عائشة لنساء النبي ﷺ : « فضلت عليكن بعشر ولا فخر » ويقول فيه الإمام الذهبي : هذا حديث صالح الإسناد ولكن فيه انقطاع .

فلا عجب إذا كانت أحظى نساءه ﷺ وأحبهن إليه !

النبي زوجا :

تعطينا عائشة رضي الله عنها صورة لما كانت تعامل به من رسول الله ﷺ تُهديها إلى الأزواج لكي يتعلموا فن المعاملة ، وكيف تكون العلاقة بين الزوجين ؟!

تقول عائشة - رضي الله عنها - :

« كنت أَلْعِبُ بالبنات شتى اللعب ، فتجئ صواحبى فينقمعن من رسول الله ﷺ ، فيخرج رسول الله ﷺ فيدخلهن عليّ ، فيلعبن معي » .
وفي لفظ : « فكانت جواريهن يلعبن معي بها ، فإذا رأين رسول الله ﷺ انقمعن ، فكان يُسرِّبُهُنَّ إلَيَّ » .
وعن عائشة قالت :

« دخلت على رسول الله ﷺ وأنا أَلْعِبُ بالبنات^(١) ، فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : خيل سليمان ، ولها أجنحة . فضحك^(٢) » .

ويروى الإمام الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

« لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترنى بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » .

غيرتها :

تقول عائشة رضي الله عنها :

« ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله ﷺ

(١) ينقمعن : يدخلن في بيت . أو يطفين وراء ستر . والحديث رواه هشام عن أبيه عنها . وأخرجه الإمام الذهبي .

(٢) أى : اللعب . كما في الطبقات (٨ : ٤٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء .

ﷺ يذكرها .

ويعلق الإمام الذهبي على هذا الحديث فيقول :

قلت : وهذا من أعجب شيء أن تغار - رضى الله عنها - من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمُدَيِّدَةٍ . ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ ، فهذا من الطاف الله بها وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما ، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ لها ، وميله إليها ، فرضى الله عنها وأرضاها .

حسن العهد من الإيمان :

وتحكي لنا عائشة - رضى الله عنها - صورة من صور تلك الغيرة ، ومعالجة الرسول ﷺ للموقف فتقول :

« دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ ، فأقبل عليها . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال !

فقال : إنها كانت تدخل على خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان »^(١).

رؤية الله :

وتضع السيدة عائشة - رضى الله عنها - النقط على الحروف وتحسم الخلاف فتقول :

« من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى ، ولكنه رأى جبريل مرتين في صورته ، وخلقه ساداً ما بين الأفق »^(٢).

الهجر الجميل :

ويصور لنا الحديث الذى أخرجاه في الصحيحين لأبى أسامة عن هشام

(١) سير أعلام النبلاء ج : ٢ ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ، وهذا حديث - كما قال الإمام الذهبي - صحيح الإسناد ، ولم يأتنا نص جلى بأن النبي ﷺ رأى الله تعالى بعينه ، وهذه المسألة مما لا يسع المرء المسلم السكوت عنها ، فأما رؤية المنام فمجاوات من وجوه متعددة مستفيضة . وأما رؤية الله عياناً في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي وغيرهما .

ما يسود العلاقة بينهما في حالى الرضا والغضب بلفظ : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبي » . قالت : وكيف يا رسول الله ؟ ! قال : « إذا كنت عني راضية قلت : لا ورب محمد . وإذا كنت علي غضبي قلت : لا ورب إبراهيم » . قالت : أجل والله ، ما أهجر إلا اسمك ^(١) .

الرخصة في التيمم :

ويروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أنها استعارت قلادة في سفر مع رسول الله ﷺ فانسلت منها ، وكان ذلك المكان يقال له : الصلصل . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فطلبوها حتى وجدوها . وحضرت الصلاة ، ولم يكن معهم ماء ، فصلوا بغير وضوء ، فأنزل الله آية التيمم . فقال لها أسيد بن الحضير : جزاك الله خيرا ، فوالله ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله لك فيه خيرا ^(٢) .

النبي ﷺ يترضاها :

روى أبو نعيم عن النعمان بن كثير قال : استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فإذا عائشة ترفع صوتها عليه ، فقال : يا بنت فلانة ، ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ! فقال النبي ﷺ بينه وبينها . ثم خرج أبو بكر فجعل النبي ﷺ يترضاها وقال : ألم تريني حُلْتُ بين الرجل وبينك . ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى فسمع تضاحكهما فقال : أشركاني في سلمكما كما أشركتاني في حربكما ^(٣) .

(١) يقول الإمام الذهبي . تابعه على بن مسهر . وأخرج النسائي حديث على .

(٢) رواه ابن غير ، وعلى بن مسهر عنه كما قال الإمام الذهبي .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي من طريق حجاج بن محمد عن يونس نحوه ، لكنه قال : عن أبيه .

سباق :

ويجري الرسول ﷺ بينه وبين عائشة سباقا ، فقد جاء فيما رواه هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سابقني النبي ﷺ فسبقته ماشاء ، حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني ، فقال : يا عائشة ، هذه بتلك »^(١) .
لقد كانت أعرف الناس برسول الله ﷺ ، وأرعاهم لما يريد ، ويخفف الجهد عنه ، وكان لها من الفهم والرأى والبصيرة ما يطمنن إليه ، وساعده ذلك على أن يفرغ لأعبائه الكبار التي تلقيا عليه مهام رسالته الجليلة .
ولقد شاركت في شئون مجتمعتها برأيها وجهدها مع المحافظة على الحجاب الذي فرض على أمهات المؤمنين .

لقد أعطى الإسلام المرأة الحق في التعليم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأهاب بها أن تصل إلى أعلى المستويات العلمية ، يدفعها إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [الآية ١١٤ من سورة طه]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٥]
كما أوجب على أمهات المؤمنين أن يعلمن الناس ذكورهم وإناثهم : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤]
فكان الرجل يأتي إلهن ويستفتيهن ، ويتلقى ما يلقيه من أحكام الله ومكارم الأخلاق .

ويروى عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قامت بدور كبير في هذا المجال حيث كان المسلمون يفرعون إليها في القضايا العلمية ، والمسائل الفقهية ، فتذكرهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

وإلى جانب ذلك أقر الإسلام مشاركة المرأة للرجل في ميدان القتال ، وأفسح لها السبيل لتخرج مع الجيوش تمرىض المرضى ، ومداواة الجرحى ، وخدمة الجيش .

= عن إسحق ، عن العيزار ، عن النعمان ، وروى نحوه أحمد في مسنده .

(١) يقول الإمام الذهبي : ورواه أبو إسحق الفراءى ، عن هشام ، فقال : عن أبيه ، عن أبي سلمة عنها . أخرجه هكذا أبو داود .

ويقول الفقهاء في ذلك :

إن الجهاد فرض كفاية ، ولا يجب على أصحاب الأعدار لأعدارهم ولا يجب على المرأة لأنها مشغولة بحق زوجها ، ولكن إذا أذن الزوج لها أن تخرج مجاهدة ، أو أخذها معه في الجهاد لا يكون عليه ، ولا عليها في ذلك من حرج .

وقالوا : هذا كله إذا لم يهجم العدو ، فإذا هجم العدو وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المرأة بغير إذن زوجها ، كما يخرج الولد بغير إذن أبيه ، والعبد بغير إذن سيده^(١).

حرصها على كرامة المرأة :

وكانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - شديدة الدفاع عن المرأة حريصة على كرامتها ، كما كانت في نفس الوقت شديدة الإنكار على اللواتي يخالفن بعض أحكام الشريعة ، فقد واجهت نساء « حمص » عندما نزلن عليها قائلة : « لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله »^(٢).

وحينما رأت تغيراً في ملابس بعض النساء بعد عهد النبي ﷺ أنكرت ذلك وقالت : « لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل »^(٣).

ونفتح صحيح مسلم على باب الإحسان إلى البنات « ليرى لنا عنها فيقول :

عن عائشة - رضى الله عنها - زوج النبي ﷺ قالت : جاءني امرأة معها ابنتان لها ، فسألتي فلم تجد عندي شيئاً غير تمر واحدة ؛ فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت وابنتاها !

(١) محمود شلتوت . الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

(٣) متفق عليه .

فدخل على النبي ﷺ فحدثته حديثها ، فقال النبي ﷺ « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار »^(١).

ويقول أبو سلمة بن عبد الرحمن عن علمها :

« ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه في رأى إن احتيج إليه ، ولا أعلم بآية فيم نزلت ، ولا فريضة من عائشة »^(٢).

وتحدثنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - فيما رواه النسائي في عشرة النساء ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، فتقول :

« والله ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له قط ، ولا خادما له قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله .

ولا تخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً ، وإن كان اثماً كان أبعد الناس .

والله ما انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمت الله » .

وكانت رضى الله عنها تحسن القراءة ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ .

وكانت زوجات رسول الله ﷺ جميعاً قسيمات عائشة في إذاعة العلم ، وإفاضة الدين على المسلمين .

وكما كانت عائشة أم المؤمنين تجيد القراءة كانت حفصة أم المؤمنين تحسن الكتابة ، وكانت الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية هي التي علمتها إياها^(٣).

ولقد ذكر القاسم بن محمد بن أبى بكر - ابن أخى عائشة أم المؤمنين -

(١) الابتلاء : الامتحان ، لكن أكثر استعمال الابتلاء في الغن ، والبنات مما يُعَدُّ منها ؛ لأن أكثر هوى الخلق في الذكور ، والإسلام لا يفرق بين البنات والذكور فالله هو الواهب ، يجب لمن يشاء إنثا ، ويجب لمن يشاء الذكور ، والنساء شقائق الرجال ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

(٢) الطبقات : (٣٧٥/٢) .

(٣) الإصابة (ج ٧ ص ١٢٠ - ١٢١) .

أنها استقلت بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - إلى أن
توفيت - رحمها الله^(١) -

ومهما حاولت أن أحصى مناقبها فلن ألم بها ، ويقول ابن عبد البر : إنها
كانت إلى جانب علمها بالتفسير والحديث والفقه ، عالمة وعلى مستوى عالٍ
بالطب والشعر والأنساب !

وهى التى نزل القرآن ببراءتها من فوق سبع سموات رضى الله عنها ..
وإليك بعض ما قيل فيها :



(١) الطبقات (٣٧٥/٢) .

❖ قالوا في عائشة *

قال أبو برد بن أبي موسى عن أبيه :
ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - أمر قط ، فسألنا عنه عائشة
إلا وجدنا عندها منه علماً .
وقال مسروق :

رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .
وقال عروة بن الزبير : ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ، ولا
بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ، ولا بنسب من عائشة .
وقال أيضاً : ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة .
وقال أبو عمر بن عبد البر : « إن عائشة كانت وحيدة عصرها في ثلاثة
علوم : علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر .
وقال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة ، فقلت له : ما
أرواك ! فقال : ما روايتي في رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت
فيه شعراً .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع
النساء كان علم عائشة أكثر ، وفي رواية « أفضل » .
وقال معاوية بن أبي سفيان : يازيد ، أي الناس أعلم ؟ قال زيار : أنت
يا أمير المؤمنين .

قال : أعزم عليك .

قال : أما إذا عزمت عليّ فعائشة .

وقال محمد بن عمر : ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً والمائة
بيت .

(*) الإصابة في تمييز الصحابة .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة .

وقال المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة .

وفى شرح الزرقاني وفتح الباري : أن عائشة كانت فقيهة جداً حتى قيل : إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها .

وقال الذهبي في الكاشف : إن عائشة أفقه نساء الأمة .

وقال الزركشي في المعبر : إن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كانا يسألانها في مسائل فقهية عديدة .

وقالت عائشة : « إن الآية كانت تنزل علينا في عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ولا نحفظها » .

مسند عائشة :

روت عن رسول الله ﷺ (٢٢١٠ : أحاديث) أخرج لها منها في الصحيحين : ٢٩٧ حديثاً ، والمتفق عليه منها (١٧٤ حديثاً) ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثاً^(١) . ومسلم بتسعة وستين حديثاً^(٢) .

وبذلك يمكننا أن نعد عائشة من المكثرين^(٣) ، فتأق بعد أبي هريرة (٥٣٩٤ : حديثاً) ، وبعد عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي روى (٢٦٣٨ : حديثاً) . وقبل ابن عباس الذي روى (١٥٤٠ : حديثاً) ، وقبل أبي سعيد الخدري الذي روى (١١٧٠ : حديثاً) .

وجعل بعضهم المكثرين سبعة وأنشد فيهم :

(١) المجتبي لابن الجوزي . والكمال في معرفة الرجال للحافظ المقدسي . وفي فتح القدير : إن البخاري انفرد بأربعة وسبعين حديثاً ومسلم بثمانية وعشرين . وقيل : وخمسين . وقيل : وستين حديثاً .

(٢) في المجتبي وفي فتح القدير . وفي الكمال أن مسلماً انفرد بثمانية وستين حديثاً .

(٣) أكثر من زادت أحاديثه على ألف .

سبع من الصَّخَب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن اختار خَيْر مُضَرَّ
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس
صديقه، وابن عباس كذا ابن عمر

علمها بالطب :

كان عروة يقول لعائشة :

يا أُمَّتاه ، لا أعجب من فقهك ، أقول : زوجة نبي الله ، وابنة أبي بكر .
ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ، أقول : ابنة أبي بكر ، وكان
أعلم الناس .

ولكن أعجب من علمك بالطب ، أين هو ؟ أو ما هو ! قال : فضربت
على منكبي وقالت :

أى عُريّة ، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ! أو فى آخر
عمره - وكانت تُقدّم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعام ،
وكنّت أعالجها له ؛ فَمِنْ ثَمَّ ^(١) .

وكيف لا وقد قال الزهرى فيها :

« لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل » ^(٢) .

ويروى الإمام الذهبى بسنده عن الأحنف قال :

سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء بعدهم فما سمعت
الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة .

ويقول موسى بن طلحة :

ما رأيت أحداً أفصح من عائشة .

إيثار :

وليس أدل على إيثارها غيرها على نفسها مما جاء فى الحديث الذى أخرجه

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ .

(٢) المصدر السابق .

البخارى فى حديث طويل جدا عن عمرو بن ميمون الأودى قال لى عمر : انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم بأمرير المؤمنين . وقل : يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ، ثم دخل عليها وهى تبكى فقال : يقرأ عليك عمر السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأثرته اليوم على نفسى ... الحديث » .

إن سيرتها - رضى الله عنها - مرآة للفتاة ترى فيها كيف تستطيع أن تكون قوية الشخصية فى غير تبذل .

وأن تحافظ على جمال مظهرها فى اتزان واحتشام .

وكيف تفهم دينها وتعمقه حتى تصبح حجة فيه .

وكيف تتحول الكلمة الدينية إلى تطبيق عملى صحيح .

وكيف يكون العطاء الفكرى والمادى .

وكيف تكون الحياة الزوجية التى تساعد الزوج على النهوض بعمله والنجاح فيه .

لقد أعطت السيدة عائشة الكثير والكثير ، وكانت مرجعا لكثير من القضايا والمسائل الدينية ، ورشحها كإل عقلها وسمو خلقها ودقتها وملازمتها للرسول ﷺ لتكون ثقة فى الحديث الشريف .

لقد صحبته ﷺ فى كثير من غزواته ، ولم تتردد فى خدمة المحاربين وإغاثتهم بما هم فى حاجة إليه ولقد عرفت بعطفها على الناس وبرها بهم إلى درجة الإيثار .

ولا عجب فهى الصديقة بنت الصديق وأما أم رومان التى قال فيها الرسول ﷺ : « من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين ، فلينظر إلى أم رومان » [أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد]

ويقول الزركشى فى عائشة : « لم ينكح النبى ﷺ امرأة أبواها مهاجران سواها » . رضى الله عنها وأرضاها .

وإنه لمن المجدى أن نتيح لك الانتفاع بحديث روته أم المؤمنين عائشة عن

أم سنبله الأسلمية التي وفدت على البيت النبوي من بادية المدينة زائرة تحمل هديتها إلى النبي ﷺ .

و « البادية » لا تستغنى عنها « الحاضرة » ، إذا دعاهم أهل الحاضرة أجابوا ، وإن نادوهم لبوا النداء .

إن أهل البادية عرب مثل أهل الحاضرة ترفرف عليهم جميعا أعلام المحبة والتعاون والإخاء !

لقد روت عائشة أم المؤمنين عن « أم سنبله الأسلمية » حديثها في أهل المدينة يعلمنا كيف تكون المعاملة بين أهل المدينة وأهل البادية : عن عروة - سمعت عائشة تقول :

أهدت « أم سنبله الأسلمية » لرسول الله ﷺ لبنا ، فدخلت عليه فلم تجده ، فقلت لها :

« إن رسول الله ﷺ قد نهى أن نأكل ما تهديه الأعراب ، فدخل رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال : يا أم سنبله ؛ ما هذا معك ؟

قالت : لبن أهديته إليك .

قال : اسكبي يا أم سنبله .

فناولته رسول الله ﷺ فشرب .

فقالت عائشة :

يا رسول الله ، قد كنت حدثتنا أنك نهيت عن طعام الأعراب ، فقال :

« يا عائشة ، ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ، ونحن أهل حاضرتهم ؛

إذا دعوناهم أجابوا ؛ فليسوا بأعراب » .

وأخرج النسائي في كتاب الكنى عن أم سنبله :

حدثتهم أنها أتت رسول الله ﷺ بهدية فأبى أزواجه أن يأخذنها ، فجاء

رسول الله ﷺ فقال : « خذوها ؛ فإن أم سنبله من باديتنا ، ونحن أهل حاضرتها » .

ما هذه البساطة التي تتجلى فيما رواه سليمان بن بلال عن عبد الرحمن ،

وأخرجه ابن منده حيث يقول فيها : قال : « اسكبي وناولى أبا بكر ، ثم قال : اسكبي وناولى عائشة ، ثم قال : اسكبي وناوليني . فشرب » . ورواه محمد بن إسحاق عن عائشة^(١) .

أنى لنا - اليوم - مثل هذه المشاعر الطيبة بين أهل البادية وأهل الحاضرة ؟!

وأنى لنا - اليوم - هذا التقدير المتبادل ، وتلك المحبة فى الله ؟!
بهذه الروح الطيبة سرت العقيدة السهلة البسيطة إلى النفوس فعمرت بحب الله ورسوله ..

ألا ما أبعد الفرق بين العرب والأعراب .. إن الأعراب كما قال الله فيهم ﴿ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ... ﴾ [التوبة : ٩٧] .

أما العرب فقد نزل القرآن بلسانهم ﴿ قرآنا عربياً .. ﴾ [يوسف : ٢] .
والعرب سواء كانوا فى البادية أم فى الحاضرة إخوة .. والبادية هى خط الدفاع الثانى للحاضرة .. إن دعوهم أجابوا .. وإن نادوهم لبوا النداء !
ألا ليتنا نعيد النظر إلى قرانا وريفنا فنوطد العلاقة بين القرية والمدينة ..
علاقة المودة والمحبة . لتسود كلمة الحكمة وتنتصر الراية ، ويعلو الحق .

عود على بدء :

أما الآن فسوف أذكر لك من أقوالها مما ذكره صاحب نثر الدر :

● روى أن عائشة قالت :

« مكارم الأخلاق عشر : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأداء الأمانة ، وصلة الرّحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، والتذم للجار ، والتذم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء »^(٢) .

● ورأت رجلا متماوتا فقالت : ما هذا ؟

فقالوا : زاهد .

(١) الإصابة ج ٨ وأخرجه ابن منده ، وأخرجه ابن سعد ، وأخرجه أحمد .

(٢) نثر الدر للآبى .. الجزء الرابع ص : ٢١ .

فقالت : قد كان عمر - رضى الله عنه - زاهدا ، فكان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب فى ذات الله أوجع^(١) !
 • وكانت تقول : لله در التقوى ، ما تركت لذى غيظ شفاء^(٢) .
 وروى أنها كانت تقول : « لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يُسخطُ الله »^(٣) .

• وقالت : من أَرْضَى الله بإسخط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس .
 ومن أَرْضَى الناس بإسخط الله - جَلَّ ذكره - وكله الله إلى الناس^(٤) .
 وفيها يقول الأستاذ العقاد : « إن غزارة الاطلاع والعلم بينة من لغة السيدة عائشة التى امتزجت بأسلوبها فى كل ما نقل عنها ، ولا سيما الخطب والوصف خاصة ؛ فقد كان لها مادة من اللغة لا تنهأ بغير محصول كبير من أنباء العربية التى تستقى من أعرق مصادرها ، ولا ريب أنها كانت تقتدى بأبيها فى حفظ الأخبار والأنساب . كما كانت تقتبس من ميراث أخلاقه وطباعه وملكاته .



(١) المصدر السابق ص : ٢٢ والكامل للمبرد : ١٦٤/٢ .
 (٢) نثر الدر للآبى ص : ٢٤ .
 (٣) نثر الدر للآبى ص : ٢٤ . والبيان والتبيين ١٧٠/٣ ، وفى عيون الأخبار ٧/٤ . وكان يقال : ثم ذكر القول .
 (٤) نثر الدر للآبى ص : ٢٥ ج ٤ .

٢ - أم حميد

امراة أبي حميد الساعدي

عابدة من عابدات صدر الإسلام .

روى حديثها ابن أبي عاصم وبقي بن مخلد^(١) .. أنها قالت : قلت : يا رسول الله ، يمنعنا أزواجنا أن نُصَلِّيَ معك !

فقال رسول الله ﷺ : « صلاتكن في بيوتكن أفضل من صلاتكن في حَجَرَكُن ، وصلاتكن في حجركن أفضل من صلاتكن في دوركن ، وصلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في الجماعة » .

وأخرجه ابن خيثمة عن عبد الله بن سُويد الأنصاري عن عمته أم حميد - امراة أبي حميد الساعدي - أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني أحب الصلاة معك .

قال : « قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير ... » فذكر نحوه لكن بالإفراد ، وزاد :

« وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » ،

قال : « فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، فكانت تصلي حتى لقيت الله تعالى »^(٢) .

أعرفت أيتها الأخت المسلمة خير مكان لصلاتك !؟

(١) الإصابة ج ٨ ص ١٩٧ .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ١٩٧ والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير .

٣ - أم أنس

والدة عمران بن أبي أنس

ونتوقف الآن مع « أم أنس » زوج أبي أنس ، ووالدة عمران بن أبي أنس .. لتحدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يتيح لمن يعمل به أن يكون في الجنة مع الرفيق الأعلى من الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً !

أخرج الطبراني من طريق محمد بن إسماعيل الأنصاري عن موسى بن عمران بن أبي أنيس عن جدته أم أنس أنها قالت :
« أتيت رسول الله ﷺ فقلت : جعلك الله في الرفيق الأعلى من الجنة ، وأنا معك » .

قال : « أقمي الصلاة ؛ فإنها أفضل الجهاد . واهجري المعاصي ؛ فإنها أفضل الهجرة . واذكري الله كثيراً ، فإنه أحب الأعمال إلى الله » (١) .
وأخرجه الطبراني أيضاً من طريق إسحاق بن إبراهيم بن سبطاس حدثني مربع عن أم أنس أنها قالت :
يا رسول الله ، أوصني ، فقال :

« اهجري المعاصي ؛ فإنها أفضل الهجرة » الحديث . وفيه :
« واذكري الله كثيراً ؛ فإنك لا تأتيين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكر الله » (٢) .

(١) الإصابة .

(٢) المرجع السابق . وفيه : قال أبو موسى : أورد الطبراني الأول ترجمة مستقلة ، وأورد الثاني في ترجمة أم سليم : والدة أنس بن مالك ، وكان هذه الثالثة . كذا قال . وليس بظاهر . بل الظاهر أنهما واحدة غير أم سليم .

وقد أفردهما أبو غنم عن أم سليم ، لكنه قال : جدة يونس بن عثمان . وكذا قال البخاري في التاريخ : يونس بن عمران بن أبي أنس عن جدته فذكر الحديث باللفظ الأول .

٤ - فاطمة بنت أسد بن هاشم

ابن عبد مناف

في السنة التاسعة من مسيرة الجهاد العظيم ماتت خديجة - رضى الله عنها - فاشتد حزن الرسول ﷺ على أعز نصرائه ، وأصدق وزرائه . ماتت خديجة ، ولكن عطاء المرأة للنبوّة لم يمت ولم ينقطع ، فقد خلفتها على رعاية النبي ﷺ وتأيدته وتثبته ، وتدبير شئونه امرأة لم تكن دونها رأياً ولا عطفاً ولا عقلاً ولا جاهاً ولا منصباً ، وتلك هي « فاطمة بنت أسد » .

إنها زوج عمه أبى طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأم أمير المؤمنين على بن أبى طالب قائد المسلمين ، وصهر النبي الأمين .

لم تكن فاطمة - رضى الله عنها - خلفاً من خديجة فحسب ، بل كانت خلفاً من أبى طالب في الذود عن النبي ﷺ والانتصار له ، ولم يزل ذلك شأنها حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة فبعثته في هجرته ، فكان بيتها في المدينة ، كما كان في مكة ، مآباً طيباً ، ومقلاً كريماً .

يقول الإمام الذهبي في ترجمته لها : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، والدة على بن أبى طالب . هي حماة فاطمة . كانت من المهاجرات الأول . رضى أول هاشمية ولدت هاشمياً .

كما يقول الزبير بن بكار فيها :

هي أول هاشمية ولدت خليفة . ثم بعدها فاطمة الزهراء .

ويقول ابن سعد :

كانت امرأة صالحة ، وكان النبي ﷺ يزورها ، ويقبل في بيتها .

ويقول ابن حجر : إنها توفيت قبل الهجرة ، والصحيح : أنها هاجرت ،

وماتت بالمدينة .

وبه جزم الشعبي قال : أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة .

ولمسة الوفاء التي ينبغي ألا تتخلى عنها تتجلى فيما أخرجه ابن عاصم من طريق عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه - « أن النبي ﷺ كفن فاطمة بنت أسد في قميصه ، وقال : « لم نلق بعد أبي طالب أبرأى منها »^(١) .

إن الرسول ﷺ لم ينس لها برها به ، ولا برها بزوجة ابنها علي : فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال الأعمش ، عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي : قلت لأُمي : اكفني فاطمة سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك الطحن والعجن !!

ألم أقل لك إنها كانت نموذجاً لزوج العم ، وللأم ، وللحماة البارّة بالنبي ﷺ وفاطمة ابنته ؟!

لقد كانت ذات صلاح ودين . عاشت في خدمة الدعوة الوليدة وتأيدها .

روت عن النبي ﷺ ٤٦ حديثاً .

وفي الصحيحين لها حديث واحد متفق عليه .

فلا عجب إذا ما رأيت الرسول ﷺ يحترمها احتراماً عظيماً ، ويزورها ، ويَقِيلُ في بيتها^(٢) .

وكما كانت فاطمة نموذجاً في نصرة الله ، وتأيد رسوله منقطعة القرين - كذلك كان لها رسول الله ﷺ يوم لحقت برها . فقد كفنها في ثوبه ، ونزل في قبرها ، واضطجع فيه ، فكان حقا على القبر أن يشرق بنور الله ، ويعقب بـروحه ، ويفيض برحمته .

(١) الإصابة ج ٨ ص ٦٠ .

(٢) يقضى وقت القيلولة والظهيرة . وتجد ترجمة لها بكل من الإصابة ، والاستيعاب ، وطبقات ابن سعد ، وسير النبلاء للذهبي ، والمجتبى لابن الجوزي .

وقد قيل للنبي ﷺ : ما رأيك صنعت بأحد ما صنعته بهذه ، فقد
« إنه لم يكن بعد أي طالب أبرّ في منها »^(١)
ذلك فضل الله يختص به من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .



(١) ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١١٣٧ ١١٥٦ . وكتاب الطبقات ج ٧ ص ١٢ ١٤ وإلاصة
ج ٨ ص ١٦٠ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٠ ٨٣ . وقد روى الإمام الذهبي الحديث بقوله
قال ابن عبد البر : روى سعدان بن الوليد السابري عن عطاء عن ابن عباس ، قال « لما ماتت فاطمة
أم علي ألبسها النبي ﷺ قميصه ، واضطجع معها في قبرها . فقالوا : ما رأيك يا رسول الله صنعت
هذا ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أي طالب أبرّ في منها . إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة .
واضطجعت معها ليون عليا » .
وعلق عليه الإمام الذهبي بقوله : هذا غريب .

٥ - أم معبد الخزاعية

روى أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة ، وأبو بكر - رحمه الله - وعامر بن فهيرة^(١) ، ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط . فمروا على خيمة : « أم معبد الخزاعية » وكانت امرأة بَرْزَة جَلْدَة تَحْتَبِي^(٢) بفناء القبة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك .

وكان القوم مَرْمِلِينَ مَسْنِينَ^(٣) ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاةٍ في كِسْر^(٤) الحَيِّمة . فقال : « ما هذه الشاةُ يا أم معبد ؟ » .

قالت : شاةٌ خَلَفَهَا الجهد عن الغنم .

قال : « هل بها من لبن ؟ » .

قالت : هي أجهد من ذلك .

قال : « أتأذنين لي أن أحلبها ؟ ! » .

قالت : بأني وأمي أنت . نعم : إن رأيتَ بها حلبا فاحلبها .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها . وسمَّى الله ، ودعا لها في شاتها ، فَتَفَاجَت^(٥) عليه ، وَدَرَّتْ وَأُخْثِرَتْ^(٦) . ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهْطُ^(٧) ،

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام . شهد بدرًا وأحدًا ، وقتل يوم بدر معونة . أسد الغابة ١٣٦/٢ .

(٢) تحبى : تجلس جلسة عربية تشد ظهرها إلى ركبتيها بشملة لتتمكن من الجلوس .

(٣) مسنين : أصابهم السنة والفقر .

(٤) كِسْر الحَيِّمة : داخلها .

(٥) تَفَاجَت : بالغت في تفرج رجلها .

(٦) أُخْثِرَتْ : أكثرت .

(٧) يربض الرهط : يرويه ويشبعهم .

فحلب فيه ثَجًّا^(١) حتى غلبه الثَّمال^(٢)، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم، وقال:

«ساقى القوم آخرهم شرباً»^(٣)، فشرّبوا جميعاً غَللاً بعد نَهْل، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره وبايعها وارتحلوا عنها. فَقَلَّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أُعْتِزًّا حَبْلًا عجافاً تساوك^(٤) هُزالاً، مُحْضَنٌ^(٥) قليل، ولا نُفًا^(٦) بهن. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال:

من أين هذا يا أم معبد، والشَّاءُ عازبة حيال^(٧). ولا حَلُوبَةٌ في البيت؟! فقالت: لا والله، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْت وكَيْت!

قال: صفيه لى يا أم معبد، فقالت:

رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاعة، أبلجَ الوجه، حسن الخُلُق، لم تَعْبِه ثجلة^(٨)، ولم تُزِرْ به صُعلة^(٩).

وسيماً قسيماً في عينيه دَعَج، وفي أشفاره وطف^(١٠).. وفي صوته صَحَل^(١١)، وفي عُنقه سَطَع^(١٢).. وفي لحيته كشانة.. أحورٌ أكحل.. أَرْجُ أَقْرَن^(١٣)..

(١) ثَجًّا: لبنا سائلاً.

(٢) الثَّمال: ما يترأى على سطح اللبن من رغوة جمع ثَمالة.

(٣) الجامع الصغير: ١٧٠، عن الطبراني.

(٤) تساوك: تسير سيراً ضعيفاً.

(٥) مُحْضَنٌ قليل: كناية عن الضعف. ومخاخ: جمع مُخ.

(٦) نُفًا: أى لا شَخ لها لضغفها وهزالها.

(٧) حيال: غير حوامل.

(٨) ثجلة: ضخامة البطن.

(٩) الصُعلة: صفر الرأس. وقيل: الحفة والنحول في البدن.

(١٠) وطف: طول أهداب.

(١١) الصَحَل: البهجة.

(١٢) السَطَع: الطول.

(١٣) الزجج: تقوس في الحواجب مع طول وامتداد. والأقْرَن: المقترن الحواجب.

إِنْ صَمَتَ فعليه الوقار .. وإن تكلم سما وعلاه البهاء .. أجمل الناس وأبهاه
من بعيد .. وأحلاه وأحسنه من قريب ..

خُلُوْ المنطق ، فصل لا نزر^(١) ولا هذر ، كأن منطقتَه حُرُزَات نَظْم
تتحدرن . رُبْعَةٌ لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصر .
غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً .

له رُفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره .
محفوظٌ محشود^(٢) . لا عابسٌ ولا مُفَنَّد^(٣) . صلى الله عليه وسلم .

قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره بمكة
ماذكر .

ولو كنت وافقته لاتمتست صحبتته ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك
سبيلاً^(٤) .

وقيل لعل بن أبي طالب : كيف لم يصف أحد النبي ﷺ كما وصفته
أم معبد ؟!

فقال : لأن النساء يصفن بأهوائهن فيجدن في صفاتهن .
وأراك أيها القارئ الكريم تقول :

وماذا كنا فاعلين لو لم نحصل على مثل هذا الوصف الذي يعطينا صورة
جلية للنبي ﷺ حتى لكأننا نراه رأى العين ؟!

لكنها عاطفة الإيمان تملأ القلوب والأركان فيكشف عنها اللسان بأحلى
بيان ، وما خرج من القلب فهو إلى القلب .

(١) التزر : القليل الذي يدل على القبح .

(٢) يحف به الناس ويمدونه ، فهو مطاع فيهم .

(٣) المَفَنَّد : الضعيف الرأي .

(٤) تمة الخبر في أسد الغابة : ٤٥١/١ . وقد جاء ذكر الوصف في بلاغات النساء لطيفور . وجاء

أيضاً في زاد المعاد ٥٤/٢ . ونثر الدر ج ٤ ص ٨٥-٨٨ .

٦ - أم سليم بن ملحان

أم أنس بن مالك

من أفاضل النساء... يعرفها الجميع بكنيتها.. أما اسمها فقد اختلفوا فيه ف قيل : سهلة ، وقيل : رميثة ، وقيل : مليكة ، وقيل : الغميصاء أو الرميضاء !
على كل فهي أم سليم .. وهي أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .
فماذا كانت قصتها مع مالك ؟

لقد تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية ، فولدت أنساً قبل إسلامها .
وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، فغضب مالك ، وقال لها :
أصبوت^(١) ؟

قالت : ما صبوت ، ولكنني آمنت بهذا الرجل .

ثم جعلت تلقن أنساً وتشير إليه بقوها :

قل : لا إله إلا الله .

قل : أشهد أن محمداً رسول الله .

فكان مالك يقول لها : لا تفسدي عليّ ابني ! فتقول : لا أفسده .

ثم خرج مالك يريد الشام فلقى عدو فقتله ، فلما بلغها قتله ، قالت :
لا أظلم « أنساً » حتى يدع الثدى !

وكانت « أم سليم » تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ، ويجلس في
المجالس ، فيقول : جزى الله أمتي خيراً ، لقد أحسنت ولايتي .

(١) أى تركت دينك ودين آبائك في الجاهلية .

تجربة ثانية :

خطبها أبو طلحة - وهو مشرك - فأبت ، وقالت له :
يا أبا طلحة ، أأنت تعلم أن إلهك الذى تعبد هو حجر لا يضرک ولا
ينفعک ، أو خشبة يأتى بها النجار ، فينجرها لك .. هل يضرک .. هل
ينفعک ؟

أفلا تستحى من عبادتك هذه ؟!

فإن أسلمت ، فأنى لا أريد منك صداقا غير إسلامك !

فوقع الإسلام فى قلب أبى طلحة ، ونطق بالشهادتين ، فتزوجته ، وكان
الصداق بينهما الإسلام^(١) !!

ألا ليتنا نراعى هذا الجانب عند اختيار الزوج فلا نشق على المسلم ، ولا
نكلفه ما يرهقه !

لقد روت عن النبى ﷺ أربعة عشر حديثاً . وأخرج لها منها فى
الصحيحين أربعة أحاديث أحدها متفق عليه ، وانفرد البخارى بحديث ،
ومسلم بحديث .

وفى يوم أحد تقوم « أم سليم » بدورها فتسقى العطشى ، وتداوى
الجرحي .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح أن « أم سليم » اتخذت خنجرأ يوم حنين
فقال أبو طلحة : يا رسول الله ؛ هذه أم سليم معها خنجر . فقالت : اتخذته
إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه ، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك
كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ؛ فإنهم لذلك أهل ، فقال لها الرسول ﷺ :
« يا أم سليم ، إن الله قد كفى وأحسن » .

ويروى ابن حجر بسنده فيقول : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا ربيع

(١) وعن أنس قال : تزوج أبو طلحة أم سليم - رضى الله عنها - فكان صداق ما بينهما الإسلام ،
أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة ، فخطبها ، فقالت : إني قد أسلمت ، فإن أسلمت نكحتك ، فأسلم ،
فكان صداق ما بينهما الإسلام ، (أخرجه النسائي) .

ابن عبد الله بن الجارود ، حدثني أنس بن مالك - « أن النبي ﷺ كان يزور أم سليم فتشغفه بالشئ تصنعه له » . ولا عجب فهي أنصارية خزرجية تنتمي إلى عدى بن النجار .

ويروى أيضاً عن أنس : أنه حدثهم : لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتا غير بيت أم سليم إلا على أزواجه ، فقيل له : فقال : « إلى أرحمها ؛ قيل أخوها وأبوها معي » . وأخوها هو حرام بن ملحان الشهيد الذي قال يوم بدر معونة : « فزت ورب الكعبة لما طعن من ورائه فطلعت الحرب من صدره » . رضى الله عنه .

والجواب عن دخوله بيت « أم حرام وأختها » أنهما كانتا في دار واحدة .

أنس يخدم النبي ﷺ :

وفي الصحيح عن أنس أن أم سليم لما قدم النبي ﷺ قالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدمك ، وكان حينئذ ابن عشر سنين فخدم النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات ، فاشتهر بخادم النبي ﷺ .

ويقول الإمام القرطبي : « كانت أم سليم يوم حنين من بين الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ وهي ممسكة بعيرا لأبي طلحة ، وفي يدها خنجر دفاعا عن رسول الله ﷺ » .

ويُفرد الإمام مسلم في صحيحه بابا يتناول فيه فضائل أبي طلحة الأنصاري وزوجه « أم سليم » .

ومن حق الزوجة المسلمة أن تطلع على شئ من فضائل أم سليم لتعرف كيف كانت تتصرف في الشدائد ؟ وكيف كانت تصبر ؟ وكيف واجهت الابتلاء بإيمان لا يتزعزع ، وثبات و يقين .

عن أنس - رضى الله عنه - :

مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بانه ، حتى أكون أنا أحدثه .

قال : فجاء ، قربت إليه عشاء ، فأكل وشرب . فقال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع ، وأصاب

منها ، قالت :

يا أبا طلحة ، أ رأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟
قال : لا .

قالت : فاحتسب ابنك !

قال : فغضب ، فقال : تركتني حتى تلطخت ، ثم أخبرتني بابني .
فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ :
« بارك الله لكما في غابر ليلتكما » .

قال : فحملت .

قال : فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه ، وكان رسول الله ﷺ
إذا أتى المدينة من سفر ، لا يطرقتها طروقا ، فدنوا من المدينة ، فضربها المخاض ،
فاحتبس عليها أبو طلحة ، وانطلق رسول الله ﷺ .

قال : يقول أبو طلحة : إنك لتعلم ياربُّ أنه يعجبني أن أخرج مع
رسولك إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتسبت بما ترى .

قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ، ما أجذ الذي كنت أجذ ، انطلق ؛
فانطلقنا .

قال : وضربها المخاض حين قدما ، فولدت غلاما ، فقالت لى أُمى ، يا
أنس ، لا يُرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ .

فلما أصبح احتملته ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ، ومعه
ميسم^(١) ، فلما رآني قال :

« لعل أم سليم ولدت » ؟

قلت : نعم .

فوضع الميسم .

قال : وجئت به ، فوضعت في حجره ، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة

(١) الميسم : هى الآلة التى يكوى بها الحيوان من الوسم وهو العلامة .

من عجوة المدينة ، فلاكها في فيه حتى ذابت ، ثم قذفها في في الصبي ،
فجعل الصبي يتلمظها^(١) .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى حُبِّ الأنصار الثمر » .
قال : فمسح وجهه ، وسماه عبد الله ، فأنجب ورزق أولاداً ؛ قرأ القرآن
منهم عشرة .

والآن ..

لم يبق إلا العمل البناء ..

وهذه دعوة موجهة إليك ..

فهل أنت عبي استعداد لتلقى الدعوة ؟!



(١) أى يديرها بلسانه وبحركها ، ويتبع أثر الثمر . ويروى : «أبت الأنصار إلا حب الثمر» .
«الطبقات» .

دعوة المرأة إلى العمل الإيجابي

قال الله تعالى في سورة التوبة في الآية رقم :

٧١ :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ..

يأمرون بالمعروف ..

وينهون عن المنكر ..

ويقيمون الصلاة ..

ويؤتون الزكاة ..

ويطيعون الله ورسوله ...

أولئك سيرحمهم الله ..

إن الله عزيز حكيم ﴾

[التوبة : الآية رقم : ٧١]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة	٩
أولاً : المرأة المسلمة أما وحاضنة ومرضعاً	١١
١ - أم هانئ	١٤
٢ - لبابة بنت حارث	١٧
٣ - أروى بنت عبد المطلب	١٩
٤ - أم أيمن	٢١
٥ - حليلة السعدية	٢٤
٦ - الشيماء بنت الحارث	٢٦
ثانياً : المرأة المسلمة زوجة	٢٩
١ - خديجة بنت خويلد	٣٢
٢ - سودة بنت زمعة	٣٥
٣ - زينب بنت محمد	٣٨
٤ - رقية بنت رسول الله ﷺ	٤٤
٥ - أم حكيم بنت الحارث	٤٧
٦ - خولة بنت مالك بن ثعلبة	٤٩
ثالثاً : المرأة المسلمة بنتاً	٥٣
١ - فاطمة بنت النبي ﷺ	٥٦
٢ - أسماء بنت أبي بكر الصديق	٦٢
٣ - درة بنت أبي لهب	٦٧
٤ - أم كلثوم بنت عتبة	٦٨
٥ - خنساء بنت خدام	٧١
٦ - بريرة	٧٤
رابعاً : المرأة المسلمة أختاً	٧٧
١ - صفية بنت عبد المطلب	٨٠
٢ - فاطمة بنت الخطاب	٨٤
٣ - فاطمة بنت الوليد	٨٧
٤ - سنانة بنت حاتم الطائي	٨٨
٥ - الفارعة بنت أبي الصلت	٩١
٦ - فاطمة بنت عتبة بن ربيعة	٩٢
خامساً : المرأة المسلمة مياينة ووافدة	٩٣
١ - أميمة بنت رقيقة	٩٨
٢ - معاذة جارية عبد الله	١٠٠

- ١٠٢ ٣ - هند بنت عتبة
- ١٠٦ ٤ - أسماء بنت يزيد
- ١٠٨ ٥ - حواء بنت يزيد
- ١٠٩ ٦ - أم رعدة القشيرية
- ١١١ **سادساً : المرأة المسلمة مهاجرة**
- ١١٤ ١ - أم مسلمة
- ١٢٠ ٢ - أم حبيبة بنت أبي سفيان
- ١٢٢ ٣ - أسماء بنت عميس
- ١٢٤ ٤ - ليلى بنت أبي حنمة
- ١٢٦ ٥ - الشفاء بنت عبد الله
- ١٢٨ ٦ - فاطمة بنت قيس
- ١٣١ **سابعاً : المرأة المسلمة مجاهدة**
- ١٣٤ ١ - نسيبة بنت كعب
- ١٤٠ ٢ - أم حبيب بنت العاص
- ١٤١ ٣ - أم حرام بنت ملحان
- ١٤٣ ٤ - محنة بنت جحش الأسدية
- ١٤٥ ٥ - هند بنت عمرو بن حرام
- ١٤٩ ٦ - سمية
- ١٥٣ **ثامناً : المرأة المسلمة مداوية وآسية**
- ١٥٦ ١ - الربيع بنت معوذ
- ١٥٨ ٢ - أم سنان الأسلمية
- ١٦٠ ٣ - أم زياد الأشجعية
- ١٦١ ٤ - كعبية بنت سعد الأسلمية
- ١٦٢ ٥ - أمية بنت قيس الغفارية
- ١٦٦ ٦ - رفيدة الأنصارية
- ١٦٩ **تاسعاً : المسلمة عالمة راوية للحديث**
- ١٧٣ ١ - عائشة بنت أبي بكر
- ١٩١ ٢ - أم حميد
- ١٩٢ ٣ - أم أنس
- ١٩٣ ٤ - فاطمة بنت أسد
- ١٩٦ ٥ - أم معبد الخزاعية
- ١٩٩ ٦ - أم سليم بن ملحان
- ٢٠٠ **دعوة المرأة إلى العمل الإيجابي**